مجلة الشرق الأوسط
للدراسات القانونية والفقهية

MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث
Manar Elsharq for Studies & Research

دراسة في المنهج التفسيري في أوجه القرآن الكريم – السيوطي، الزركشي، آية الله معرفة، والزرقاني أنموذجًا

م.م محمد علي حسين[1] ، ا.م.د مصطفى عباس مقدم[2]

ايران / جامعة كاشان الحكومية / كلية الاداب / قسم العلوم الاسلامية

استلام البحث: 04/03/2025	مراجعة البحث: 05/04/2025	قبول البحث:14/05/2025

الملخص:

تتناول هذه الدراسة أحد الجوانب المهمة في علوم القرآن الكريم، وهو ما يُعرف بـ"أوجه القرآن"، أي الألفاظ القرآنية التي تحتمل أكثر من معنى، ويختلف معناها بحسب السياق والقرائن المصاحبة. وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يجمع بين علوم اللغة والتفسير والبلاغة، ويُظهر أوجه الإعجاز البياني في النص القرآني. وقد سعى العلماء منذ العصور الأولى إلى دراسة هذه الظاهرة وتوظيفها لفهم المعاني القرآنية بشكل أدق. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مناهج أربعة من كبار المفسرين في التعامل مع وجوه القرآن الكريم، وهم: السيوطي، الزركشي، آية الله معرفة، والزرقاني، بوصفهم نماذج تمثيلية لمدارس تفسيرية مختلفة زمانيًا ومذهبيًا ومنهجيًا. وقد اعتمدت الدراسة على مناهج متعددة، أبرزها: المنهج الاستقرائي لجمع النصوص ذات العلاقة من كتبهم، والمنهج التحليلي لفهم تناولت الدراسة عدة محاور أساسية، من بينها: دور السياق السياقات اللغوية والدلالات التفسيرية، والمنهج المقارن لتحديد أوجه التشابه والاختلاف في مناهجهم القرآني في تحديد وجه المعنى، وأثر القراءات القرآنية المتعددة في تنوع الدلالة، وأهمية القواعد النحوية والصرفية، بالإضافة إلى استخدام الشواهد الشعرية واللغوية لتوضيح المعاني المختلفة للألفاظ توصلت الدراسة إلى أن جميع العلماء الأربعة اعتمدوا على السياق بوصفه العنصر الأهم في تحديد دلالة اللفظ، إلا أن درجة استخدامهم للقراءات والنحو والشواهد اللغوية قد اختلفت. فبينما مال بعضهم إلى التفصيل اللغوي، اكتفى آخرون بالنقل والاختصار. وتُبرز هذه الدراسة أن فهم وجوه القرآن لا يكتمل دون الربط بين السياق واللغة والقراءات، مما يجعل هذا المجال خصبًا لمزيد من الدراسات المقارنة التي تسعى إلى بناء منهج تفسيري متكامل.

الكلمات المفتاحية: المنهج التفسيري ، أوجه القرآن الكريم ، السيوطي، الزركشي، آية الله معرفة، والزرقاني .

Abstract

This study addresses an important aspect of the sciences of the Holy Qur'an, namely what is known as the "facets of the Qur'an," i.e., Qur'anic words that have more than one meaning, and whose meanings vary according to context and accompanying evidence. The importance of this topic lies in its integration of linguistics, interpretation, and rhetoric, and its demonstration of the miraculous aspects of the Qur'anic text. Scholars have sought to study this phenomenon since ancient times and employ it to better understand Qur'anic meanings.

This study aims to analyze the approaches of four prominent interpreters in dealing with the facets of the Holy Qur'an: al-Suyuti, al-Zarkashi, Ayatollah Ma'rifa, and al-Zarqani. They represent representative models of different interpretive schools based on time, doctrine, and methodology. The study relied on multiple approaches, most notably: the inductive approach to collect relevant texts from their books; the analytical approach to understand linguistic contexts and interpretive connotations; and the comparative approach to identify similarities and differences in their approaches. The study addressed several key themes, including: the role of the Quranic context in determining meaning, the impact of multiple Quranic readings on the diversity of meaning, the importance of grammatical and morphological rules, and the use of poetic and linguistic evidence to clarify the different meanings of words.

The study concluded that all four scholars relied on context as the most important element in determining the meaning of a word. However, the degree to which they used readings, grammar, and linguistic evidence varied. While some tended toward linguistic detail, others were content with transposition and abbreviation. This study highlights that understanding the aspects of the Quran is incomplete without linking context, language, and readings, making this a fertile field for further comparative studies seeking to build a comprehensive interpretive approach.

Keywords: unfair dismissal, Jordanian labor law, worker rights, Court of Cassation, judicial procedures.

CC BY

المقدمة :

1-1. الكليات

1-1-1. مفهوم وجوه القرآن وأهميته

1-1-1-1. تعريف وجوه القرآن عند علماء التفسير واللغة

وجوه القرآن مصطلح في علوم القرآن يشير إلى الألفاظ التي تحمل أكثر من معنى، بحيث يتحدد تفسيرها وفقًا للسياق الذي وردت فيه. وقد اعتنى العلماء بدراسة هذه الظاهرة اللغوية لما لها من أهمية في استجلاء معاني النصوص القرآنية وتحديد دلالاتها بدقة. ويُعدّ هذا المفهوم أحد الجوانب المهمة التي تدخل في دراسة الإعجاز البياني واللغوي للقرآن الكريم، حيث تتجلى فيه ثراء اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن معانٍ متعددة بألفاظ محدودة.[1]

عند علماء التفسير، وجوه القرآن تعني الاختلاف في دلالة اللفظ الواحد بناءً على السياق، إذ إن بعض الكلمات في القرآن قد ترد بعدة معانٍ مختلفة حسب موقعها في الآية. فعلى سبيل المثال، كلمة "الأمة" قد تعني الجماعة في موضع، وقد تعني الإمام والقدوة في موضع آخر، كما قد تشير إلى فترة زمنية في سياق ثالث. وقد اهتم المفسرون، مثل الزركشي والزرقاني والسيوطي وغيرهم، بدراسة هذه الظاهرة وبيان المعاني المختلفة التي يمكن أن تحملها الألفاظ القرآنية، معتمدين في ذلك على السياق العام للآية، واستقراء النصوص القرآنية المشابهة، والاستناد إلى أقوال الصحابة والتابعين في تفسيرها.[2]

أما عند علماء اللغة، فمصطلح وجوه القرآن يرتبط بعلم الدلالة، حيث يتم تحليل الألفاظ وفقًا لما تحمله من معانٍ متنوعة، ومدى ارتباطها بالقواعد اللغوية والنحوية التي تحدد معناها وفق السياق. فاللغة العربية تمتاز بقدرتها على التعبير عن معانٍ مختلفة باستخدام نفس الكلمة في تراكيب متنوعة، وهو ما يظهر بوضوح في القرآن الكريم. وقد أولى علماء اللغة اهتمامًا خاصًا بهذه الظاهرة، ودرسوها ضمن

أبواب المشترك اللفظي والتضمين، معتبرين أن معرفة هذه الوجوه تسهم في تفسير النصوص القرآنية وتجنب التأويلات غير الصحيحة.[3]

[1] – الطيار، مساعد بن سليمان. التفسير اللغوي للقرآن الكريم. الدمام: دار ابن الجوزي، 2011. ص 151.

[2] – عطية، محمد حامد حسن. "المسكوت عنه في دراسة الوجوه والنظائر القرآنية." مركز تفسير للدراسات القرآنية، 2019. ص 214.

[3] – علي، علي عبد المطلب. "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: دراسة تفسيرية مقارنة." رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، 2023. ص 75.

CC BY

بذلك، فإن مفهوم وجوه القرآن يقع في دائرة التفسير واللغة معًا، حيث تتضافر جهود المفسرين واللغويين لفهم النص القرآني بأبعاده المختلفة، مما يُبرز عمق المعاني القرآنية ويكشف عن الأساليب البيانية المتنوعة التي استخدمها القرآن الكريم في التعبير عن معانيه.

1-1-1-2. تعريف وجوه القرآن عند علماء التفسير واللغة

بدأ الاهتمام بوجوه القرآن منذ نزول الوحي على النبي محمد ﷺ، حيث كان الصحابة أول من تدبّروا معانيه، وتلقوا تفسيره مباشرة منه، مما أسهم في بناء فهمهم للفظ القرآني وفقًا لسياقه. ومع انتشار الإسلام واتساع رقعة الدول الإسلامية، بدأ العلماء في تدوين علوم القرآن، وكان من أبرز ما تم الاهتمام به مسألة تعددية المعاني للألفاظ القرآنية، وهو ما يُعرف بوجوه القرآن.[1]

في العصر الأول من التفسير، كان الاهتمام الأكبر بتفسير القرآن بالمأثور، حيث اعتمد الصحابة والتابعون على تفسير الآيات بالرجوع إلى تفسير النبي ﷺ، وكذلك عبر الرجوع إلى لغة العرب، باعتبار أن القرآن نزل بلسان عربي مبين. وكان هذا المنهج كفيلًا بتوضيح بعض الألفاظ التي تحمل أكثر من معنى وفقًا للسياق. لكن مع ظهور الاختلافات اللغوية، وبروز المدارس النحوية، بدأ العلماء في تفصيل هذه الظاهرة بشكل أوسع، فظهرت الحاجة إلى دراسات متخصصة في بيان تعدد دلالات الألفاظ القرآنية.[2]

مع تطور العلوم الإسلامية في العصر العباسي، برزت مؤلفات اهتمت بتحليل المعاني المختلفة للألفاظ القرآنية، وظهرت تصنيفات تتناول المفردات القرآنية التي تحتمل أكثر من معنى، كما في كتب الغريب والمفردات. ومن بين أوائل من كتبوا في هذا المجال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، حيث أرسوا قواعد علم النحو والصرف، مما ساعد لاحقًا المفسرين في استنباط الدلالات المختلفة للألفاظ وفق قواعد اللغة العربية. ومن بين أوائل من كتبوا في هذا المجال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، حيث أرسوا قواعد علم النحو والصرف، مما ساعد لاحقًا المفسرين في استنباط

[1] – الحيري، إسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري. وجوه القرآن الكريم. تحقيق فاطمة يوسف الخيمي. دمشق: دار السقا، 1996. ص 15–20.

[2] – فضل الرحمن عبد العليم الأفغاني. كتاب وجوه القرآن لأبي عبد الرحمن إسماعيل الضرير النيسابوري الحيري: تحقيق ودراسة. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1984. ص 45–50.

CC BY

الدلالات المختلفة للألفاظ وفق قواعد اللغة العربية.[1]

في هذه الفترة، بدأ ظهور التفاسير التي اهتمت بتعدد وجوه القرآن، وكان من أبرز من تناول هذه الظاهرة الإمام الطبري في تفسيره، حيث كان يعرض الأوجه المختلفة للفظ القرآني مع بيان الأدلة اللغوية والشرعية على كل وجه. وتطوّر هذا النهج مع الزمخشري في تفسيره "الكشاف"، حيث اعتمد الأساليب البلاغية في تحليل تعددية المعاني، إضافة إلى تأثره بالمنهج اللغوي المعتزلي. كما جاء ابن عطية في "المحرر الوجيز" ليعتمد على الترجيح بين الأوجه المختلفة للألفاظ بناءً على السياق والقراءات المتعددة.

في العصور المتأخرة، توسع البحث في وجوه القرآن ليشمل مقارنات بين المذاهب التفسيرية المختلفة، وبرز علماء مثل السيوطي في "الإتقان في علوم القرآن"، حيث خصص أبوابًا لشرح الألفاظ ذات المعاني المتعددة، والزركشي في "البرهان في علوم القرآن"، الذي قدّم تصنيفًا دقيقًا لأنواع وجوه القرآن واستعمالاتها في سياقات مختلفة. كما جاء الزرقاني في العصر الحديث ليؤسس دراسات قائمة على التحليل اللغوي والتفسير المقارن، مما ساهم في إبراز دور وجوه القرآن في الإعجاز اللغوي والتشريعي.

وهكذا، تطورت دراسة وجوه القرآن من كونها اجتهادات فردية مبنية على اللغة والسياق، إلى أن أصبحت علمًا متكاملًا له أسسه المنهجية، وساهمت في بلورته مدارس التفسير المختلفة، مما جعله جزءًا أساسيًا في علوم القرآن والدراسات اللغوية حتى يومنا هذا.

1-1-1-3. أهمية وجوه القرآن في التفسير واللغة

يُعَدّ علم وجوه القرآن من أهم العلوم التي تسهم في فهم النص القرآني بعمق وشمولية، فهو يكشف عن تعددية المعاني التي تحملها الألفاظ وفقًا للسياق، مما يجعل دراسة القرآن أكثر دقة وإحكامًا. فاللغة العربية تمتاز بغناها الدلالي، والقرآن الكريم استثمر هذا الغنى بأسلوب معجز، حيث ترد بعض الألفاظ في آيات مختلفة بمعانٍ متعددة، ولا يمكن إدراك المراد منها إلا من خلال دراسة وجوهها المتنوعة. ومن هنا تأتي أهمية وجوه القرآن، حيث تتيح للمفسرين القدرة على كشف أبعاد النص القرآني وتقديم تفسير متكامل يعكس المعاني المختلفة التي يحتملها اللفظ الواحد.

في التفسير، تبرز أهمية وجوه القرآن في أنها تمكّن المفسر من تحديد المعنى الأنسب للفظ بناءً على السياق القرآني.

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 175هـ): من أوائل علماء اللغة الذين أسسوا لعلم الصوت والصرف، ويُعدّ مؤلفه "كتاب العين" أول معجم لغوي مرتب على أساس مخارج الحروف. تناول فيه جذور الكلمات ومعانيها وتعدد دلالاتها، مما جعله مرجعًا مهمًا في دراسة المفردات القرآنية، وأسهم بشكل غير مباشر في تمهيد الطريق لتفسير الألفاظ المتعددة المعاني في القرآن الكريم. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1994م.

CC BY

فكثير من الكلمات القرآنية تحمل أكثر من معنى، وقد يؤدي الإغفال عن دراسة هذه الوجوه إلى تأويل غير دقيق للنص. فعلى سبيل المثال، لفظ "الروح" ورد في القرآن بأكثر من معنى، فتارة يدل على جبريل عليه السلام، وأحيانًا على الوحي، وأحيانًا أخرى على الحياة نفسها. فهم هذه الوجوه يساعد في تقديم تفسير دقيق وشامل للنص القرآني، مما يعزز من إدراك المعنى الحقيقي الذي يراد بالآية.[1]

أما من الناحية اللغوية، فإن وجوه القرآن تُعتبر مجالًا ثريًا لدراسة تطور المعاني ودلالة الألفاظ في اللغة العربية. فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب، وكان يحمل تراكيب وأساليب لغوية تتوافق مع قواعد اللغة وتقاليدها، لكنه في الوقت ذاته أضاف بُعدًا بلاغيًا غير مسبوق، مما جعل العلماء يستنبطون منه أصولًا وقواعد لغوية جديدة. كما أن دراسة وجوه القرآن تساعد في تمييز المعاني المجازية من الحقيقية، وتحديد كيفية استخدام الألفاظ وفقًا للنظم البلاغي واللغوي الذي ميّز القرآن الكريم.

من جهة أخرى، فإن وجوه القرآن ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعلوم النحو والصرف والبلاغة، حيث يحتاج المفسر إلى معرفة القواعد النحوية والصرفية ليتمكن من فهم التغييرات التي تطرأ على الألفاظ بحسب موقعها في الجملة. إضافة إلى ذلك، فإن دراسة وجوه القرآن تعزز من فهم الأساليب البلاغية كالاستعارة، والتشبيه، والكناية، حيث قد يكون لاختلاف الوجه القرآني تأثير على التركيب البلاغي والجمالي للنص.

علاوة على ذلك، فإن معرفة وجوه القرآن تسهم في إزالة الإشكالات التفسيرية التي قد تنشأ بسبب التعدد الدلالي للألفاظ، وتساعد في التمييز بين المعاني المختلفة التي تحملها بعض المفردات. فمن خلال دراسة سياقات ورود الكلمةفي القرآن، يمكن استنباط معناها بدقة، وتحديد المعنى المقصود بما يتناسب مع سياق الآية، مما يمنع الوقوع في التأويلات الخاطئة أو غير المنضبطة.

بذلك يتضح أن وجوه القرآن تلعب دورًا أساسيًا في التفسير، حيث تُمكّن المفسر من استيعاب النص القرآني وفق منظور واسع يتناسب مع تعددية الدلالات اللغوية، كما تسهم في تعزيز الفهم اللغوي للنصوص القرآنية، مما يجعل دراستها ضرورة لكل من يريد التعمق في معاني القرآن الكريم وفهم أبعاده التفسيرية واللغوية بدقة وإحكام.

1-1-1-4. أهمية وجوه القرآن في التفسير واللغة

وجوه القرآن ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعلم القراءات القرآنية والسياق اللغوي، إذ تؤثر اختلافات القراءات على تعددية المعاني

[1] – مجدي عبد الجواد الجاكي. "كتب وجوه القرآن الكريم: دراسة مرجعية." مجلة كلية الآداب جامعة بنها، مايو 2013. ص 10-15.

الممكنة للألفاظ، مما يؤدي إلى تعدد وجوه التفسير لهذه الألفاظ بحسب القراءات المختلفة. فالقراءات ليست مجرد اختلافات صوتية في نطق الكلمات، وإنما تمتد لتشمل اختلافات دلالية تؤثر في فهم النص القرآني وتفسيره. وهذا التنوع في القراءات يعكس ثراء اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن المعاني المتعددة ضمن النص الواحد.

إن الاختلاف بين القراءات قد يكون في الحركات فقط، مما يؤدي إلى تغير دلالي طفيف، أو قد يكون في بنية الكلمة نفسها، مما يترتب عليه تغيير جوهري في المعنى. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَنُنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾[1]، حيث جاءت قراءة أخرى بلفظ "يُنَزِّلُ" بصيغة المضارع المبني للمجهول، مما يضيف بعدًا زمنيًا مختلفًا في فهم الآية. كما في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[2]، حيث قرأ بعضهم "ملك يوم الدين"، والفرق بين "مالك" و"ملك" يتجلى في أن الأول يشير إلى المالك الذي يتصرف في الشؤون، بينما الثاني يشير إلى صاحب السلطة والحكم، وكلا المعنيين صحيحان ولكن كل منهما يبرز بُعدًا مختلفًا من دلالات النص.[3]

أما السياق اللغوي، فهو عنصر أساسي في تحديد المعنى الصحيح للفظ الذي له أكثر من وجه، حيث إن نفس الكلمة قد تحمل عدة معانٍ محتملة، ولا يُمكن ترجيح أحد هذه المعاني إلا بالنظر إلى السياق الذي وردت فيه. فالسياق قد يكون نحويًا، أي مرتبطًا بعلاقة الكلمة بما قبلها وما بعدها، وقد يكون سياقًا موضوعيًا يرتبط بالموضوع العام للآية. فعلى سبيل المثال، كلمة "الفتنة" في القرآن جاءت بعدة وجوه، ففي قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[4]، تعني الاختبار والابتلاء، بينما في قوله ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[5] تعني الشرك والاضطهاد الديني.[6]

وعلى هذا الأساس، فإن المفسرين الذين اهتموا بدراسة وجوه القرآن غالبًا ما كانوا يعتمدون على القراءات المختلفة وعلى السياق اللغوي في تفسيرهم، حيث إن الجمع بين هذين العنصرين يساعد في الوصول إلى المعنى الأكثر دقة. فالتفسير الذي يهمل السياق قد يؤدي إلى معانٍ غير دقيقة، كما أن إغفال القراءات المختلفة قد يُضيّع بعض المعاني المحتملة التي يحملها النص.

إن العلاقة بين وجوه القرآن والقراءات القرآنية والسياق اللغوي تشكل محورًا أساسيًا في فهم النص القرآني، وتدل على مدى ثراء اللغة العربية ومرونتها في التعبير عن المعاني المتعددة، مما يعكس أحد وجوه الإعجاز القرآني الذي يتيح

[1] – سورة الإسراء، الآية: 82.

[2] – سورة الفاتحة، الآية: 4.

[3] – الطاهر بن عاشور، محمد. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984. ج 1، ص 50–55.

[4] – سورة التغابن، الآية: 15.

[5] – سورة البقرة، الآية: 191.

[6] – مقاتل بن سليمان البلخي. الوجوه والنظائر. تحقيق عبد الله شحاتة. القاهرة: دار المعارف، 1970. ص 32–35.

CC BY

للمعاني أن تتنوع وفقًا لاختلاف النطق أو السياق دون أن يتأثر جوهر الرسالة القرآنية أو هدفها التشريعي والديني.[1]

وعلى الرغم من تناول الدراسات لعلم وجوه القرآن من زاوية لغوية وتفسيرية في الغالب، إلا أن هذا العلم يتجاوز تلك الأبعاد ليشكّل ركيزة مهمة في مجالات متعددة من علوم الشريعة واللغة معًا. إذ لا تقتصر أهميته على بيان المعاني وتنوع الدلالة في السياق القرآني، بل تمتد إلى أثره في استنباط الأحكام الشرعية، حيث إن تعدد الوجوه قد يؤدي إلى تنوّع فقهي معتبر. كما يبرز دوره في مجال الرد على الشبهات المثارة حول ما يُتوهم من تناقض أو اضطراب في النصوص، وذلك من خلال كشفه عن مرونة اللغة القرآنية واتساعها الدلالي. كما يُعد هذا العلم مدخلًا مهمًّا لفهم الإعجاز البياني في القرآن الكريم، حيث يتجلّى التفوق اللغوي في القدرة على توظيف الألفاظ بما تحتمله من معانٍ دون إخلال بوحدة المعنى العام. وتكمن أهمية وجوه القرآن أيضًا في مجال تعليم اللغة العربية، إذ تسهم دراسته في تنمية الحس اللغوي والقدرة على فهم تعدد المعنى باختلاف السياق، مما يجعل هذا العلم أحد المفاتيح الأساس لفهم النص القرآني فهمًا شاملًا.[2]

1-2. مناهج المؤلفين في تفسير وجوه القرآن

مناهج العلماء في تفسير وجوه القرآن

يُعدّ تفسير وجوه القرآن من الموضوعات التي حظيت باهتمام كبير من علماء التفسير واللغة، حيث سعوا إلى استجلاء المعاني المتعددة التي قد يحملها اللفظ القرآني الواحد، وذلك وفقًا لمقتضيات السياق القرآني واللغوي. وقد اعتمدوا في دراستهم لهذه الظاهرة على القراءات المختلفة، والأساليب البلاغية والنحوية، فضلاً عن القواعد الدلالية والصرفية، مما أدى إلى تعددية تفسيرية أثرت بشكل كبير على فهم النص القرآني. وتبعًا لهذا التنوع، اختلفت مناهج العلماء في التعامل مع وجوه القرآن، فبعضهم مال إلى التفصيل والاستقصاء، بينما اتخذ آخرون منهج التوسط، واكتفى بعضهم بالاختصار والإيجاز، وفقًا لرؤيتهم الخاصة ومنهجهم التفسيري.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل مناهج أربعة من العلماء البارزين في تفسير وجوه القرآن، وهم: السيوطي، والزركشي، وآية الله معرفة، والزرقاني، وذلك من خلال استقراء مناهجهم، والكشف عن أوجه الاشتراك والاختلاف بينهم، وتحليل مدى تأثرهم بالنحو والصرف والبلاغة، مع الاستشهاد بأمثلة قرآنية متعددة توضح رؤيتهم لهذه الظاهرة.

[1] – انظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص143.

[2] – الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص35.

CC BY

أوجه الاختلاف والاشتراك في مناهج العلماء

يختلف العلماء في تفسيرهم لوجوه القرآن بناءً على مناهجهم العلمية ومصادرهم الأساسية، فبعضهم اعتمد على التفسير بالمأثور، مستندًا إلى أقوال الصحابة والتابعين في توضيح المعاني المختلفة للألفاظ القرآنية، بينما ركّز آخرون على التحليل اللغوي والبلاغي، فبحثوا في الجوانب النحوية والصرفية للكلمات، واستدلوا بشواهد من الشعر العربي لتأكيد دلالات الألفاظ. كما أن هناك من أولى اهتمامًا خاصًا بالقراءات القرآنية ودورها في تحديد المعاني، بينما لجأ بعضهم إلى التفسير العقلي والاجتهادي في تحليل الوجوه المتعددة للألفاظ.

ومن بين العلماء الذين تناولوا وجوه القرآن بأسلوب تفصيلي، السيوطي، الذي استقصى المعاني المختلفة للألفاظ، وعرضها بأسلوب موسع، جامعًا بين التفسير بالمأثور واللغوي، ومبينًا أثر القراءات القرآنية في تعددية الدلالة. وعلى العكس منه، اتسم الزركشي بمنهج متوسط، حيث مزج بين التحليل اللغوي والنحوي والتفسير بالمأثور، لكنه لم يسهب في عرض الأقوال المختلفة، بل كان يميل إلى الانتقاء والترجيح. أما آية الله معرفة، فقد اعتمد على الاجتهاد العقلي في تناول وجوه القرآن، حيث ركز على تحليل الألفاظ وفقًا للدلالات الفلسفية واللغوية، مع اهتمام واضح بتأثير القراءات القرآنية في تحديد المعاني المتعددة. أما الزرقاني، فكان يميل إلى السياق القرآني في تفسير وجوه القرآن، حيث اعتمد على تحليل الكلمة وفق المعنى العام للنص، وابتعد عن الإسهاب، مكتفيًا بالاختصار والإيجاز عند الحاجة.

أهمية القراءات القرآنية في تفسير وجوه القرآن

احتلت القراءات القرآنية دورًا مهمًا في تفسير وجوه القرآن، حيث رأى بعض العلماء أن اختلاف القراءات يؤدي إلى تعدد دلالي في الألفاظ، وهو ما أثر في التفسير. وقد أعطى السيوطي ومعرفة اهتمامًا كبيرًا للقراءات المختلفة، حيث استندا إلى تعددية القراءات في تفسير وجوه القرآن، وأبرزا أثرها في تنوع المعاني. أما الزركشي والزرقاني، فاعتمدا على السياق القرآني أكثر من اعتمادهم على اختلاف القراءات، ورأيا أن تفسير الوجوه يجب أن يستند إلى السياق العام دون التوسع في الاستشهاد بالقراءات المختلفة.

البعد اللغوي والصرفي في تفسير وجوه القرآن

لم يكن المنهج اللغوي غائبًا عن تفاسير العلماء الأربعة، فقد تباينت مناهجهم في استخدام القواعد النحوية والصرفية في تفسير وجوه القرآن. فقد ركّز الزركشي والسيوطي على النحو والصرف، حيث استشهدا بشواهد من الشعر الجاهلي واللغة الفصحى لتفسير المعاني المختلفة للألفاظ، وكانا يميلان إلى التحليل الدلالي والنحوي لكل لفظ قرآني يحتمل أكثر

CC BY

من معنى. أما معرفة، فقد أضاف تحليلاً فلسفيًا إلى المنهج اللغوي، حيث سعى إلى فهم الألفاظ وفق أبعادها المنطقية واللغوية. أما الزرقاني، فقد اتجه إلى تفسير المعاني وفق السياق العام للنص القرآني، وقلل من استخدام القواعد النحوية إلا في المواضع التي تستدعي ذلك.

المصادر الأساسية في دراسة وجوه القرآن

اعتمد هؤلاء العلماء على مصادر متعددة في تحليل وجوه القرآن، ومن بين الكتب التي كان لها أثر واضح في تناولهم لهذا الموضوع "الوجوه والنظائر" للدامغاني، الذي يُعد من أهم المصادر في تفسير وجوه القرآن، حيث جمع فيه معاني الألفاظ المتعددة وشرحها وفق السياق القرآني. كما أن "كتاب حبيش بن إبراهيم التفليسي" كان من المراجع المهمة التي استند إليها بعض العلماء، حيث ركّز على تحليل الدلالات المتعددة للألفاظ، مع مقارنة معانيها في مواضع مختلفة من القرآن.

التحليل النقدي لمناهج العلماء الأربعة

إن دراسة هذه المناهج وتحليلها تُظهر الفروق الجوهرية بين العلماء في تفسيرهم لوجوه القرآن، وتكشف عن مدى تأثر كل عالم بخلفيته العلمية والفكرية في منهجه التفسيري. فبينما اعتمد السيوطي على الاستقصاء والتفصيل، واتجه الزركشي إلى التوسط والترجيح، كان معرفة أكثر ميلاً إلى الاجتهاد العقلي، في حين ركّز الزرقاني على السياق والإيجاز. كما أن بعضهم أولى أهمية كبيرة للقراءات القرآنية، بينما فضّل آخرون السياق والنحو والصرف كأساس لتفسير الوجوه المتعددة للألفاظ.

1-2-1. منهج السيوطي في تفسير وجوه القرآن

يُعدّ السيويطي أحد العلماء البارزين في علوم القرآن والتفسير، حيث كانت له إسهامات واضحة في دراسة أوجه المعاني المتعددة في القرآن الكريم. وُلد ونشأ في بيئة علمية جعلته متمكنًا من علوم اللغة العربية والقراءات، مما انعكس على أسلوبه في التفسير. كان تركيزه الأساسي منصبًّا على تحليل الألفاظ القرآنية من منظور لغوي وبلاغي، مع الأخذ بعين الاعتبار تعددية الدلالة التي تحملها الكلمات في السياقات المختلفة. وقد تلقى تعليمه على يد مجموعة من العلماء الكبار في عصره، مما ساعده على تطوير منهج خاص في تفسيره لوجوه القرآن، يقوم على الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير اللغوي، وهو ما جعله يتميز عن غيره من المفسرين في هذا المجال.

تميز السيوطي بسعة اطلاعه على كتب التفسير واللغة، كما كان له اهتمام خاص بتحليل المصطلحات القرآنية التي

CC BY

تحتمل أكثر من معنى، مما دفعه إلى التوسع في دراسة أصول اللغة العربية والنحو والصرف والبلاغة. ومن خلال مؤلفاته، نجد أنه لم يكن يكتفي بالنقل عن المفسرين السابقين، بل كان يحاول تقديم رؤية نقدية وتحليلية لبعض الآراء، وخاصة فيما يتعلق بالألفاظ التي اختلف العلماء في تحديد معانيها. وكان يتبع منهجًا دقيقًا في تحليل السياق القرآني لتحديد المعنى الأنسب للفظ، مما جعله مرجعًا مهمًا في دراسة وجوه القرآن الكريم.[1]

اعتمد السيوطي على مجموعة واسعة من المصادر التفسيرية التي تنوعت بين التفسير بالمأثور، كأقوال الصحابة والتابعين، والتفسير بالرأي الذي يعتمد على التحليل اللغوي والدلالي للنصوص القرآنية. وكان من أبرز مصادره كتب التفسير التقليدية مثل تفسير الطبري والكشاف للزمخشري والبرهان في علوم القرآن للزركشي، حيث كان ينقل عن هذه المصادر ثم يقوم بتحليلها وفقًا لمنهجه الخاص. كما كان يعتمد على كتب النحو والصرف مثل كتاب سيبويه والمفصل للزمخشري في فهم دلالات الكلمات، مما يدل على اهتمامه البالغ بالجانب اللغوي في تفسيره.

أما منهجه في تناول وجوه القرآن، فقد كان يقوم على عدة أسس رئيسية، أبرزها تحليل الألفاظ وفقًا للسياق الذي وردت فيه، وربطها بغيرها من الآيات التي وردت فيها نفس اللفظة ولكن بمعنى مختلف، وذلك من أجل استنباط الفروقات الدلالية بين الوجوه المختلفة. كما كان يهتم بإيراد القراءات المختلفة للكلمة، ويبين كيف تؤثر هذه القراءات على المعنى المستفاد. ولم يكن يقتصر على التفسير اللغوي فحسب، بل كان يعرض آراء المفسرين السابقين ثم يقارن بينها، مما يظهر ميله إلى الدراسة النقدية في التفسير.

من أبرز الأمثلة التي تناولها السيوطي في تفسيره لوجوه القرآن قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: 85]، حيث أشار إلى أن كلمة "الروح" تحمل عدة وجوه من المعاني، فمنها أنها تشير إلى جبريل عليه السلام، ومنها أنها تدل على النفس الإنسانية، ومنها أنها تعني الوحي الذي ينزله الله على أنبيائه. وقد استشهد السيوطي بالقراءات المختلفة لهذه الآية، وأوضح كيف أن التفسير يتغير بناءً على السياق الذي وردت فيه الكلمة.[2]

ومن الأمثلة الأخرى التي تطرق إليها تفسيره، قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 43]، حيث تناول كلمة "الزكاة" وأوضح أنها تأتي في القرآن بعدة وجوه، فقد تعني الطهارة كما في قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9]، وقد تعني الصدقة المفروضة كما في أغلب مواضع القرآن، كما قد تأتي بمعنى الزيادة والنماء كما في قوله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103]. ومن خلال هذه الأمثلة، يظهر منهج السيوطي في

[1] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974. ص 479.

[2] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. نواهد الأبكار وشوارد الأفكار. تحقيق عبد الله رفاعي محمد أحمد. القاهرة: جامعة الأزهر، 2005. ص 632.

CC BY

تحليل الألفاظ من منظور شامل، بحيث يربط المعنى بالسياق القرآني، ويستشهد بالقراءات المختلفة، ثم يعرض آراء المفسرين السابقين ليصل إلى المعنى الأرجح وفقًا لمنهجه اللغوي والتفسيري.[1]

1-2-2. منهج الزركشي في تفسير وجوه القرآن

يُعدّ بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (745هـ – 794هـ) أحد أبرز علماء التفسير وعلوم القرآن في العصر المملوكي، وهو صاحب المؤلفات العميقة التي أثرت بشكل كبير في مجال الدراسات القرآنية. نشأ الزركشي في بيئة علمية ونهل من مختلف العلوم، لا سيما الفقه، وأصول الفقه، وعلوم الحديث، وكان معروفًا باتباعه المنهج الشافعي في الفقه. ومن أبرز مؤلفاته "البرهان في علوم القرآن"، الذي يُعدّ أحد أوائل الموسوعات الشاملة لعلوم القرآن، حيث تناول فيه مختلف القضايا التفسيرية واللغوية والبلاغية التي ترتبط بفهم النص القرآني. كما كان للزركشي اهتمام خاص بعلم التفسير، حيث جمع بين التفسير بالمأثور والرأي، مع إعمال قواعد اللغة والبلاغة لفهم وجوه القرآن بشكل أعمق.[2]

يحتل الزركشي مكانة علمية رفيعة بين المفسرين، نظرًا لمنهجه الدقيق في تحليل النصوص القرآنية وتفسيرها وفق أصول علمية واضحة. فقد كان مدققًا في الروايات التفسيرية، كما أنه لم يكتفِ بالنقل بل ناقش الآراء المختلفة وبيّن وجوه الترجيح بينها، مما يدل على عمق تفكيره النقدي وتحليله اللغوي والفقهي للنصوص. وكان تأثيره واضحًا في تفاسير العلماء الذين جاؤوا بعده، حيث اعتمد كثير من المفسرين على كتاباته في علوم القرآن، خاصة في دراسة وجوه القرآن وكيفية التعامل مع الألفاظ ذات المعاني المتعددة.

اتبّع الزركشي منهجًا دقيقًا ومتوازنًا في تفسير وجوه القرآن، حيث اعتمد على تحليل الألفاظ من خلال سياقها اللغوي والشرعي، مع الاستفادة من القراءات القرآنية المختلفة لتحديد المعنى الأكثر ترجيحًا. كما ركّز في تفسيره على إبراز الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، حيث كان يرى أن تنوع المعاني للفظ الواحد يعكس بلاغة القرآن وقدرته على التعبير عن معانٍ متعددة بكلمات قليلة. وكان يسعى دائمًا إلى تفسير المعاني وفق القواعد الأصولية التي تستند إلى اللغة والتشريع الإسلامي، مما جعله يوازن بين الجانب اللغوي والجانب الفقهي في تفسير وجوه القرآن.[3]

أحد أبرز سمات أسلوبه هو تفريقه بين المعاني المختلفة بناءً على استخدام الكلمة في السياقات المتعددة داخل

[1] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974. ص 357.

[2] – عبد العزيز إسماعيل صقر. الزركشي ومنهجه في علوم القرآن. رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، 1981. ص 65.

[3] – خليفة قرني محمد خليفة. مباحث علم المعاني في كتاب "البرهان" للإمام الزركشي. رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية. ص 324.

CC BY

القرآن، وهو ما يتجلى في تحليله لبعض الألفاظ التي تحمل وجوهًا مختلفة. وكان يحرص على ذكر أقوال السلف والعلماء المتقدمين، ثم يوازن بينها وفق الأسس العلمية، بحيث يختار التفسير الأقرب إلى الدلالة اللغوية أو الأحكام الشرعية عند الحاجة. كما لم يكن الزركشي يميل إلى التفسير الإشاري أو الباطني، بل كان تركيزه منصبًا على التحليل اللغوي والتفسير بالمأثور.

كان للمنهج اللغوي تأثير كبير على تفسير الزركشي لوجوه القرآن، حيث اعتمد بشكل واضح على قواعد النحو والصرف والبلاغة في تحديد المعاني المختلفة للألفاظ القرآنية. وقد استفاد في ذلك من المدارس النحوية الكبرى، وخاصة المدرسة البصرية التي كانت تهتم بالدقة في تحديد المعاني وفق القواعد النحوية. كما كان يستخدم علم الاشتقاق لفهم معاني الكلمات من جذورها اللغوية، مما ساعده في بيان الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة المعنى.

إلى جانب ذلك، كان للزركشي اهتمام بالقراءات القرآنية وتأثيرها على المعاني، حيث كان يرى أن تعدد القراءات يُسهم في إبراز التنوع الدلالي للألفاظ، ويكشف عن جوانب إضافية في تفسير النصوص. وكان يعتمد على اللغة العربية الفصيحة في ترجيح بعض المعاني، مستشهدًا في كثير من الأحيان بالشعر العربي القديم لبيان معاني الكلمات القرآنية التي قد تحمل أكثر من وجه. ومن خلال هذا النهج، تمكن من تقديم تفسير لغوي دقيق للألفاظ المتعددة المعاني، مع المحافظة على روح التفسير الشرعي وعدم الخروج عن دلالة النصوص الدينية.

قدّم الزركشي العديد من الأمثلة على وجوه القرآن من خلال تحليله لمعاني الألفاظ المتعددة في القرآن الكريم، ومن بين هذه الأمثلة تفسيره لكلمة "الأمة" التي جاءت في مواضع متعددة بمعانٍ مختلفة. ففي قوله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل: 120]، أوضح أن "الأمة" هنا تعني الإمام والقدوة، بينما في قوله ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ [هود: 8]، فسر "الأمة" على أنها تعني المدة الزمنية، مما يدل على أن الكلمة الواحدة قد تحمل وجوهًا مختلفة وفقًا لسياقها.[1]

كذلك، في تفسيره لكلمة "الروح" في قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: 85]، ذكر أن المعنى قد يختلف بحسب التفسير، حيث فُسِّرت على أنها الوحي في بعض المواضع، وعلى أنها جبريل عليه السلام في مواضع أخرى، وقد تعني النفس الإنسانية في سياقات أخرى. ومن خلال هذه الأمثلة، يظهر بوضوح كيف كان الزركشي يعتمد على

[1] – محمد بديع. مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب "البرهان في علوم القرآن" للزركشي. رسالة ماجستير، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 1991. ص 39.

المنهج اللغوي والسياق القرآني لتحديد دلالة اللفظ ومعناه الدقيق وفق تعدد وجوهه.[1]

إن تحليل الزركشي لوجوه القرآن يعكس عمقًا في الفهم اللغوي، إلى جانب التزامه بالمناهج التفسيرية التقليدية، مما يجعله أحد أبرز العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع بدقة وعلمية.

1-2-3. منهج آية الله محمد هادي معرفت في تفسير وجوه القرآن

محمد هادي معرفت وُلِد في عام 1309هـ ش في كربلاء. كان والده الشيخ علي ابن ميرزا محمد من الخطباء المشهورين في كربلاء في تلك الفترة. أما والدته، السيدة زهرا، فهي ابنة السيد هاشم، تاجر من مدينة رَشْت، الذي استقر في كربلاء، حيث توفي في عام 1363هـ ش ودُفن هناك.

كانت أسرة معرفة جميعها من أهل العلم والتقوى، ولها تاريخ علمي يمتد لأكثر من 300 عام، حيث ينحدرون جميعًا من نسل عبد العالي الميسي، صاحب رسالة الميسية، الذي هاجر من قرية ميس في جبل عامل إلى أصفهان. ثم انتقل جده الأكبر مع عائلته إلى كربلاء حيث استقر هناك وعاش فيها.

دفعه اهتمامه بالقضايا القرآنية إلى جانب الفقه وأصول الفقه إلى توجيه أبحاثه نحو علوم القرآن، حيث كرس معظم وقته لهذا المجال. ونتيجة لذلك، تمكن بعد فترة من تأليف كتاب "التمهيد" في ستة مجلدات، بالإضافة إلى كتاب "التفسير والمفسرون" في مجلدين.

وفي عام 1351هـ ش، عندما أصدرت حكومة البعث في العراق قرارًا بترحيل الإيرانيين، غادر مع أسرته إلى إيران، حيث استقر في الحوزة العلمية في قم، وواصل نشاطاته العلمية من تدريس وتأليف. ومن أبرز إنجازاته في هذه المرحلة تأليف كتاب "صيانة القرآن من التحريف"، وترجمة كتاب "التفسير والمفسرون".

يُعَدُّ آية الله محمد هادي معرفة من أبرز العلماء الذين اهتموا بعلوم القرآن وتفسيره، حيث تميّز بمنهجه الفريد في تحليل المعاني القرآنية وفق الأسس اللغوية والتفسيرية. برز اسمه في الدراسات القرآنية بسبب اجتهاده في استنباط معاني الألفاظ المتعددة في القرآن الكريم، معتمدًا على أدوات اللغة العربية والبلاغة والنحو في تفسيره. ورغم قلة المعلومات المتوفرة عنه مقارنةً بأقرانه، إلا أن آثاره التفسيرية تعكس عمقًا علميًا ومنهجًا متماسكًا في دراسة النصوص القرآنية.[2]

يُعرف عن آية الله معرفة أنه ألّف عدة كتب في التفسير وعلوم القرآن، حيث ركّز على دراسة وجوه القرآن والاختلافات

[1] – وفاء الزعاقي. "إعجاز القرآن عند الزركشي في البرهان: دراسة استقرائية تحليلية." مجلة جامعة الملك سعود – العلوم الإسلامية 32، العدد 1 (2020): 1-40.

[2] – بلعيد بن حمدة، وسيلة. "محمد ومنهجه في التفسير." مجلة جامعة الزيتونة، 1993، ص. 45-67.

CC BY

اللغوية في الألفاظ القرآنية. ومن أبرز مؤلفاته كتابه "التمهيد في علوم القرآن"، الذي يُعَدُّ من أوائل الكتب المستقلة في هذا المجال لدى الشيعة، حيث استعرض فيه تاريخ التفسير وترجمة القرآن، وتتبع بشمولية جيدة التفاسير ومناهج مؤلفيها عبر العصور المختلفة.

اتبع آية الله معرفة نهجًا لغويًا دقيقًا في تفسير الألفاظ القرآنية التي تحمل أكثر من معنى، حيث ركّز على السياق القرآني باعتباره المفتاح الأساسي لفهم المعنى الصحيح للكلمة. وكان يعمد إلى تصنيف الألفاظ المتعددة المعاني ضمن مجموعات دلالية، مع تحليل كيفية تغير معانيها تبعًا للتركيب النحوي والسياقي. كما كان يعتمد على الشواهد الشعرية واللغوية من التراث العربي القديم، لإثبات المعاني التي يختارها للألفاظ ذات الوجوه المتعددة.[1]

إضافةً إلى ذلك، كان لآية الله معرفة اهتمام واضح بالقراءات القرآنية المختلفة وأثرها في تنوع معاني الألفاظ، حيث كان يستعرض كل قراءة ويبيّن الفروقات الدلالية التي تنشأ بسبب اختلاف القراءة. ومن خلال هذه المنهجية، سعى إلى تقديم فهم أوسع للفظ القرآني، بحيث لا يتم قصره على معنى واحد فقط، بل يتم مراعاة تعددية الدلالات التي قد يحملها في سياقات مختلفة.

عند مقارنة آية الله معرفة بالسيوطي والزركشي، نجد أن لكل منهم منهجًا متميزًا في دراسة وجوه القرآن، فبينما كان السيوطي يميل إلى التفسير بالمأثور، معتمدًا بشكل رئيسي على أقوال الصحابة والتابعين في تحديد معاني الألفاظ، كان الزركشي أكثر اهتمامًا بالتحليل الأصولي والمنطقي لمعاني الكلمات، حيث اعتمد على مبادئ علوم القرآن والقراءات المتعددة في تفسيره. أما آية الله معرفة، فقد جمع بين المنهجين، إذ كان يمزج بين التفسير اللغوي والبلاغي والتفسير بالمأثور، مما جعله أكثر مرونة في التعامل مع تعددية المعاني في النص القرآني.

ومن الناحية التطبيقية، نجد أن السيوطي ركّز بشكل أكبر على الجوانب النحوية والصرفية في تفسير الألفاظ المتعددة، بينما كان الزركشي يركز على السياق التفسيري العام وربط المعاني ببنية النص القرآني ككل. أما آية الله معرفة، فقد كان يميل إلى دراسة المعاني وفق تعددية القراءات والسياقات، مما يجعله أكثر توازنًا بين الجانبين اللغوي والتفسيري. ومن خلال هذه المقارنة، يظهر أن آية الله معرفة كان يسعى إلى تقديم تفسير شامل يجمع بين مختلف الجوانب اللغوية والتفسيرية بطريقة متماسكة.[2]

لإبراز منهج آية الله معرفة في تفسير وجوه القرآن، يمكن الاستشهاد ببعض الأمثلة من تفسيره، حيث نجده مثلاً في

[1] – محمد هادي معرفة. التمهيد في علوم القرآن. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، 1416هـ. ص 117.

[2] – غراب، سعد. "تفسير ابن ورواية البسيلي: دراسة وتحقيق لسورة الأعراف." مجلة الدراسات القرآنية، 2006، ص. 109–132.

CC BY

تفسيره لكلمة "الروح" يميز بين معانيها المختلفة وفق السياق، ففي قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: 85]، يذكر أن "الروح" قد تعني الوحي، أو النفس، أو مخلوقًا من أمر الله، مستندًا إلى السياق القرآني في تحديد المعنى المناسب. كما يتناول الكلمة في مواضع أخرى، مشيرًا إلى أن اختلاف القراءات يؤثر على الفهم الدقيق للفظ.[1]

وفي مثال آخر، عند تفسيره لكلمة "الفتنة"، يشير إلى أن معناها يتغير بحسب السياق، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15]، يوضح أن الفتنة هنا بمعنى الاختبار، بينما في قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: 191]، تعني الاضطهاد الديني. ومن خلال هذه الأمثلة، يتبين أن آية الله معرفة كان يحرص على تقديم تحليل دقيق لكل لفظ، مستعينًا بالسياق والقراءات القرآنية للوصول إلى التفسير الأكثر دقة وشمولًا.[2]

وفي مثال آخر، عند تفسيره لكلمة "الفتنة"، يشير إلى أن معناها يتغير بحسب السياق، ففي قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15]، يوضح أن الفتنة هنا بمعنى الاختبار، بينما في ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: 191]، تعني الاضطهاد الديني. ومن خلال هذه الأمثلة، يتبين أن آيت الله معرفت كان يحرص على تقديم تحليل دقيق لكل لفظ، مستعينًا بالسياق والقراءات القرآنية للوصول إلى التفسير الأكثر دقة وشمولًا.[3]

1-2-4. منهج الزرقاني في تفسير وجوه القرآن

الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (1890-1948م) كان من أبرز علماء علوم القرآن والتفسير في العصر الحديث. وُلِد في مصر وتلقى تعليمه في الأزهر الشريف، حيث تخصص في علوم التفسير، الحديث، واللغة العربية. من أبرز مؤلفاته كتاب "مناهل العرفان في علوم القرآن"، الذي يُعدّ مرجعًا مهمًا في علوم القرآن، حيث تناول فيه قضايا متعددة تتعلق بأصول التفسير، القراءات، والإعجاز القرآني.

في كتابه "مناهل العرفان"، قدّم الزرقاني دراسة موسعة حول وجوه القرآن، حيث ناقش الألفاظ القرآنية التي تحمل دلالات متعددة، واستعرض الطرق التي يمكن من خلالها فهم هذه الدلالات وفق أساليب اللغة العربية والقراءات المختلفة. اعتمد في تحليله على مصادر تفسيرية متنوعة، من كتب التفسير بالمأثور مثل "جامع البيان" للطبري و"الدر المنثور" للسيوطي، إلى كتب التفسير اللغوي مثل "الكشاف" للزمخشري و"البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي. ساعدته

[1] – محمد هادي معرفة. صيانة القرآن من التحريف. ص 68.

[2] – محمد هادي معرفة. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب. قم: مؤسسة النشر الإسلامي،، 2015، ص. 15-37.

[3] – محمود محمدي خراساني. "التفسير الاجتماعي عند آية الله محمد هادي معرفة." مجلّة المعارف الحكمية، العدد 28، 2012، ص. 33-57.

خلفيته اللغوية العميقة في تقديم منهج متكامل في دراسة وجوه القرآن، مما جعله مرجعًا مهمًا في هذا المجال.

اتبع الزرقاني في تفسيره لوجوه القرآن منهجًا تحليليًا ولغويًا، حيث كان يسعى إلى تحديد المعنى الأنسب للفظ القرآني بناءً على السياق القرآني والمقارنة بين المعاني المحتملة للكلمة. كان تأثره واضحًا بالمدرسة اللغوية والتفسيرية الكلاسيكية، لا سيما من خلال اعتماده على تفاسير المتقدمين، لكنه في الوقت ذاته كان يوظف القواعد النحوية والبلاغية بشكل دقيق.[1]

كما تأثر الزرقاني بالمدارس العقلية التي حاولت تفسير القرآن من خلال رؤية علمية منهجية، إذ لم يكتفِ بالتفسير اللغوي وحده، بل كان يبحث عن الأسس التي تربط اللفظ القرآني بالواقع الدلالي والمعرفي. كان هذا واضحًا في اعتماده على القراءات القرآنية كأداة لفهم وجوه القرآن، إذ كان يرى أن اختلاف القراءات يُسهم في تقديم دلالات إضافية للألفاظ، مما يساعد في توسيع الفهم القرآني وإثرائه. برز هذا الاتجاه في دراسته للمفردات القرآنية مثل "الروح"، و"الفتنة"، و"النور"، حيث تناولها من زوايا لغوية وبلاغية متعددة، مما جعله من أكثر المفسرين حداثة في تفسير وجوه القرآن.

عند مقارنة منهج الزرقاني بالمفسرين الآخرين مثل السيوطي، الزركشي، وآية الله معرفة، يتضح أنه تبنى نهجًا أكثر تحليليًا ومنهجيًا في دراسة وجوه القرآن، حيث لم يكن يكتفي بالنقل عن المفسرين السابقين، بل كان يقوم بعملية تحليل دقيق للألفاظ ومعانيها وفق السياق والقراءات. بينما كان السيوطي يعتمد بشكل أساسي على التفسير بالمأثور واستقراء الآراء التقليدية، كان الزرقاني يُخضع هذه الآراء لمناقشة تحليلية قبل تبني أي معنى معين.[2]

أما بالمقارنة مع الزركشي، فيمكن القول إن الزرقاني سار على نهجه في دراسة علوم القرآن بشكل موسع، لكنه تميز باستخدامه الدقيق للقواعد اللغوية والبلاغية في تحديد وجوه القرآن. في حين كان الزركشي أكثر ميلًا إلى المنهج الأصولي في استنباط المعاني، كان الزرقاني أكثر تركيزًا على الجانب اللغوي والقراءات، مما جعله أكثر قدرة على تقديم تفسير متكامل للألفاظ ذات الدلالات المتعددة.[3]

بالنسبة لآية الله معرفة، فقد كان له منهج متميز في تفسير وجوه القرآن، حيث جمع بين التفسير بالمأثور والتحليل اللغوي، مع التركيز على الجوانب الفقهية والعقائدية.[4] بينما ركز الزرقاني على التحليل اللغوي والبلاغي، مع توظيف القراءات القرآنية لفهم أعمق للمعاني.

---

[1] – الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1943.

[2] – القضاة، علاء عبد الله إبراهيم. "جهود الإمام الزرقاني في إبراز دلائل إعجاز القرآن الكريم والدفاع عنه." رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، 2011.

[3] – بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957)، ج1، 313–315.

[4] – محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج6 (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1416هـ)، 115–118.

CC BY

في إطار منهجه في دراسة وجوه القرآن، قدّم الزرقاني معالجة تحليلية لبعض الألفاظ القرآنية ذات الدلالات المتعددة، من أبرزها لفظ "النور" في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: 35]، حيث ناقش الدلالات المحتملة لهذا اللفظ، ما بين كونه يشير إلى نور الهداية الإلهية، أو إلى النور الحسي المدرك بالبصر، مرجّحًا المعنى الأول بناءً على السياق النصي، وما يقتضيه السياق البلاغي للآية. غير أن الزرقاني لم ينف احتمالية التعدد الدلالي، بل رأى أن التركيب يحتمل الوجهين معًا في إطار من الإعجاز البياني.

بالمقارنة، نجد أن السيوطي في تفسيره لم يتوسع في بيان وجوه لفظ "النور" في هذه الآية، بل اكتفى بنقل أقوال المفسرين السابقين من دون تحليل دلالي معمق أو ترجيح واضح، مما يجعل معالجته أقرب إلى التفسير بالمأثور الخالص. أما الزركشي، فقد تعامل مع اللفظ في ضوء القواعد البلاغية، فعدّه من باب التشبيه البليغ، مشيرًا إلى أن النور هنا مجاز عن الهداية الإلهية، مع تأكيده على التناسب الموضوعي بين لفظ النور ومقام السورة. بينما نجد آية الله معرفة قد توسّع في شرح البعد التأويلي للفظ "النور"، موضحًا أن معناه يتأثر بالثقافة الدينية السائدة عند العرب قبل الإسلام، ومشيرًا إلى دلالاته في السياق الفلسفي والوجودي، ما يعكس تأثره بمنهج التأويل التاريخي والدلالي في التفسير.[1]

كذلك، في تفسير لفظ "الفتنة"، عالج الزرقاني تنوّع دلالاته بين الابتلاء، والشرك، والاضطهاد، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15]، وقوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: 191]، معتمدًا على اختلاف السياق القرآني في توجيه المعنى. بينما نجد السيوطي يكتفي بذكر الأقوال دون ترجيح، والزركشي يربط المعنى بالبنية النحوية والموضوع العام للسورة، في حين أن آية الله معرفة يُرجع سبب تنوّع المعنى إلى تأثير السياق الزمني والبيئة الثقافية على مدلول اللفظ، مؤكدًا على وظيفة "الفتنة" كأداة اختبار حضاري وأخلاقي في المجتمع القرآني.[2]

وفي لفظ "الروح" في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: 85]، نجد أن الزرقاني ناقش تعدد معانيه بين الوحي، وجبريل، والنفس، مع ربط ذلك بالقراءات المختلفة للآية. بالمقابل، مال الزركشي إلى الوجه البلاغي في فهم اللفظ، معتبرًا أن الإبهام المقصود في الآية يحمل دلالة تعظيمية، بينما تعاطى السيوطي مع الموضوع بنقل الروايات المتعددة دون تحليل. أما آية الله معرفة فقد فسّر "الروح" على ضوء مفهوم فلسفي–قرآني يتجاوز التفسير اللغوي، مؤكدًا أن الروح تمثل مرتبة من مراتب الأمر الإلهي الذي لا يُدرك إلا بالتلقي النبوي.

[1] – الزيود، عبد الله. "علوم القرآن بين الإتقان ومناهل العرفان: دراسة مقارنة." مجلة جرش للبحوث والدراسات 24، ع. 8 (2023): 2448–2458.

[2] – محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2 (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 86–88.

CC BY

يتبيّن من ذلك أن الزرقاني قدّم قراءة تفسيرية تعتمد على الربط بين السياق والقراءات دون إغفال البعد البلاغي، لكنه في الوقت ذاته لم يوسّع المقارنة بين الآراء كما فعل الزركشي، ولم يقدّم البعد الفلسفي الذي تبنّاه آية الله معرفة، ما يجعل منهجه أقرب إلى التفسير النصي المتوازن بين اللغة والسياق، دون الخوض في التأويل الرمزي أو المذهبي.

1-3. الجانب اللغوي في وجوه القرآن عند المؤلفين الأربعة

تمثل اللغة العربية الركيزة الأساسية لفهم النصوص القرآنية، إذ نزل القرآن بلسان عربي مبين، مما يجعل دراسة البنية اللغوية للألفاظ أمرًا ضروريًا لفهم دلالاتها المختلفة. ومن هنا، كان لعلماء التفسير واللغة دورٌ بارز في استجلاء المعاني المتعددة للألفاظ القرآنية، حيث سعوا إلى تحليل وجوهها وفقًا لأسس نحوية وصرفية وبلاغية، بالإضافة إلى توظيف الشعر العربي والقرائن اللغوية في تفسير النصوص.

يتناول هذا المبحث الجانب اللغوي في دراسة وجوه القرآن من خلال تحليل مناهج العلماء الأربعة: السيوطي ، الزركشي، آيت الله معرفت ، والزرقاني، وذلك بالتركيز على كيفية تعاملهم مع الألفاظ متعددة المعاني، ومدى تأثرهم بالسياق اللغوي، فضلًا عن تحليل التأثيرات النحوية والصرفية في تفسيرهم، والاستشهاد بالشعر العربي كوسيلة لتوضيح المعاني. فمن المعروف أن اللغة العربية تمتاز بتعدد الدلالات للكلمة الواحدة وفقًا لموضعها وسياقها، وهو ما جعل المفسرين يلجؤون إلى استخدام أدوات لغوية متنوعة لاستنباط المعنى الأقرب للنص القرآني.

وفي هذا الإطار، سيتم تسليط الضوء على الدلالات المتعددة للألفاظ القرآنية ودور السياق في تحديد معناها، إذ أن السياق قد يكون المحدد الأساسي للمعنى المقصود من الكلمة، وهو ما ميز المفسرين في تعاملهم مع وجوه القرآن. كما سيتم دراسة أثر القواعد النحوية والصرفية في توجيه المعاني، حيث أن البنية النحوية للكلمة أو الجملة قد تؤثر بشكل مباشر على دلالة اللفظ. وسيتناول هذا المبحث كذلك دور الشعر العربي في تفسير وجوه القرآن، إذ لطالما استشهد المفسرون القدماء بأبيات الشعر العربي لفهم بعض الألفاظ القرآنية، خاصة تلك التي كانت تُستخدم في لغة العرب قبل نزول الوحي.

إن دراسة هذا الجانب اللغوي تتيح لنا فهمًا أعمق لمناهج العلماء الأربعة في تحليل وجوه القرآن، وتكشف عن الفروقات الدقيقة بين مدارس التفسير المختلفة، مما يساهم في إثراء المعرفة التفسيرية ويمنح القارئ تصورًا أشمل لكيفية

التعامل مع الألفاظ القرآنية المتعددة المعاني من منظور لغوي دقيق.

3-1. دلالات الألفاظ المتعددة في وجوه القرآن

تُعد دلالات الألفاظ المتعددة في القرآن الكريم من القضايا الجوهرية في علم وجوه القرآن، حيث تحمل بعض الكلمات معاني متعددة تتغير وفقًا للسياق الذي وردت فيه. وقد اهتم العلماء بتفسير هذه الألفاظ من زوايا مختلفة، مستندين إلى مجموعة من الأدوات اللغوية والتفسيرية، مثل السياق القرآني، والقراءات المتعددة، والقواعد النحوية والصرفية، بالإضافة إلى الاستشهاد باللغة العربية الفصحى والشعر الجاهلي. ومن خلال دراسة مناهج السيوطي، الزركشي، آية الله معرفة، والزرقاني، يتبين وجود فروق جوهرية بينهم في طريقة تناولهم لهذه الألفاظ، حيث تفاوتت مناهجهم بين التفصيل والتحليل اللغوي العميق، والاختصار القائم على النقل عن السلف دون تعليق موسع.[1]

ظهر هذا التباين في منهجية العلماء في كيفية تفسير الألفاظ القرآنية ذات المعاني المتعددة، حيث اعتمد بعضهم على التفسير بالمأثور، أي الرجوع إلى أقوال الصحابة والتابعين لفهم دلالة الكلمة، في حين لجأ آخرون إلى التحليل اللغوي والبلاغي لاستنباط المعنى الأكثر دقة. اتجه الزركشي إلى التعامل مع الألفاظ المتعددة المعاني بطريقة تحليلية، حيث اعتمد على القواعد النحوية والصرفية، إلى جانب علم المعاني والبيان في تحديد دلالة اللفظ، مما جعله يستخدم أسلوبًا تفصيليًا في تحليله، مستعينًا بالشعر العربي للاستدلال على معاني الكلمات. وعلى الجانب الآخر، كان الزرقاني أكثر اهتمامًا بدراسة تأثير القراءات القرآنية على تحديد المعنى، إذ رأى أن لكل قراءة بعدًا دلاليًا مختلفًا، مما يجعله يتوسع في توضيح الفروق بين القراءات وتفسير انعكاساتها على المعنى. أما السيوطي، فاعتمد بشكل أساسي على النقل من المفسرين الأوائل دون الخوض في تحليل لغوي مستقل، حيث أورد أقوال الصحابة والتابعين كما وردت في كتب التفسير السابقة، مما جعل أسلوبه أقرب إلى الاختصار منه إلى التفصيل. في المقابل، ركّز آية الله معرفة على السياق التاريخي والاجتماعي للألفاظ، معتبرًا أن فهم المعنى الدقيق لأي كلمة يستوجب العودة إلى بيئة النزول وعادات العرب آنذاك، مما دفعه إلى تحليل بعض المصطلحات وفقًا لمفاهيم فلسفية واجتماعية كانت سائدة قبل الإسلام.[2]

يظهر هذا الاختلاف المنهجي عند تحليل بعض الألفاظ المتعددة المعاني في القرآن الكريم. فعلى سبيل المثال، في تفسير كلمة "الروح" في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: 85]، نجد أن الزركشي نظر إليها من زاوية

[1] – الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957، ج1، 313–316.

[2] – هنداوي، عبد الحميد. "دلالات الألفاظ القرآنية؛ أنواعها، وقيمتها، وكيفية الوقوف عليها (1–3)." موقع تفسير، 2019.

CC BY

لغوية، موضحًا أن الكلمة تحتمل معاني متعددة تشمل الوحي والنفس وسر الحياة، وذلك من خلال تحليلها وفقًا للاشتقاق والمعاني البلاغية. أما السيوطي، فقد اعتمد في تفسيره على أقوال السلف، فذكر أن "الروح" هو سر من أسرار الله تعالى التي لا يمكن للإنسان إدراكها بالكامل. ومن ناحية أخرى، ركّز الزرقاني على الاختلافات في القراءات القرآنية التي أظهرت تباينًا دقيقًا في دلالة الكلمة، حيث أشار إلى أن بعض القراءات تُضيف معاني دقيقة لمفهوم الروح. في المقابل، قدّم آية الله معرفة تفسيرًا قائمًا على السياق الثقافي والتاريخي، معتبرًا أن مفهوم "الروح" كان مرتبطًا بمعتقدات فلسفية سابقة، مما أثر على فهم العرب لهذه الكلمة قبل نزول القرآن.[1]

يبرز هذا الاختلاف أيضًا عند النظر إلى تفسير كلمة "النور" في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: 35]، حيث فسّرها الزركشي بأنها تعبير بلاغي يشير إلى الهداية والمعرفة الإلهية، مستخدمًا الأساليب البيانية لشرح دلالتها. في حين ركّز الزرقاني على تأثير اختلاف القراءات في توضيح معناها، مشيرًا إلى أن بعض القراءات تُضفي معنى إضافيًا يعكس طبيعة النور الإلهي. أما آية الله معرفة، فقد رأى أن كلمة "النور" في السياق القرآني تأثرت بالمعتقدات الدينية السائدة في الفكر الجاهلي، حيث كان يُنظر إلى النور باعتباره رمزًا للقداسة والإشراق الروحي.[2]

كان السياق من أهم العوامل التي اعتمد عليها العلماء في تحديد المعنى الأنسب للألفاظ ذات الوجوه المتعددة. فالسيوطي لم يكن يعالج السياق بعمق، حيث كان يعتمد على التفسير بالمأثور، مكتفيًا بنقل أقوال المفسرين الأوائل دون تحليل إضافي. في المقابل، كان الزركشي شديد الحرص على دراسة السياق اللغوي للنص، حيث كان يؤكد على ضرورة فهم الكلمة في إطار تركيبها النحوي والبلاغي، مع الاستعانة بالشعر الجاهلي لفهم دلالاتها المحتملة. أما الزرقاني، فقد أضاف إلى ذلك تأثير اختلاف القراءات، حيث رأى أن بعض القراءات القرآنية تساعد في توضيح المعنى وإزالة أي التباس ممكن. بينما ركّز آية الله معرفة على السياق التاريخي والاجتماعي، معتبرًا أن المعاني لا يمكن فصلها عن بيئتها الثقافية، ولذلك كان يفسر بعض الكلمات في ضوء المفاهيم السائدة عند العرب قبل الإسلام.[3]

يتجلى هذا التنوع في الأساليب بشكل واضح عند تفسير كلمة "الفتنة" في القرآن الكريم. فالزركشي فسّرها بناءً على سياق الآية، مشيرًا إلى أنها قد تعني الابتلاء والاختبار، بينما أشار الزرقاني إلى أن بعض القراءات أضفت عليها دلالات أخرى مثل العذاب أو الشرك. أما آية الله معرفة، فقد ركّز على الأبعاد التاريخية والاجتماعية للكلمة، موضحًا

[1] – محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2 (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 84–86.

[2] – المصدر السابق

[3] – مصطفى، مصطفى أبوبكر. "دلالات الألفاظ عند الأصوليين وتطبيقاتها في القرآن الكريم." مجلة البحوث الفقهية والأصولية 2 (2017): 45–78.

أن معناها قد يكون مرتبطًا بالسياقات السياسية في العصر الجاهلي.

من جهة أخرى، تعددت المصادر التي تناولت وجوه القرآن، ومن أبرزها "الوجوه والنظائر" للدامغاني، وهو من أقدم الكتب التي صنفت الكلمات القرآنية ذات المعاني المتعددة وفق دلالاتها المختلفة، حيث قدّم تحليلًا دقيقًا لمواضع ورود الألفاظ في القرآن وأوضح تباين معانيها باختلاف السياق. كما يعد كتاب حبيش بن إبراهيم التفليسي مرجعًا مهمًا في تحليل وجوه القرآن، حيث تميز بتقديم شروح لغوية مستفيضة وربط المعاني القرآنية بالاشتقاق اللغوي والاستعمالات العربية القديمة.[1]

1-3-2. التأثيرات النحوية والصرفية في تفسير وجوه القرآن

يُعَدُّ علم النحو والصرف من أهم الأدوات التي استعان بها المفسرون في تحليل وجوه القرآن، حيث يساهم في ضبط المعنى وتحديد دلالة الألفاظ وفقًا لتركيبها داخل الجملة. وتكمن أهمية النحو في التفسير في أنه يحدد موقع الكلمة في السياق النحوي، مما يساعد في استنباط المعنى الصحيح، بينما يهتم علم الصرف بدراسة التغيرات التي تطرأ على الكلمات وتأثيرها على دلالتها، وهو ما يُفسر تعدد وجوه القرآن. وقد تفاوتت درجة اعتماد العلماء الأربعة (السيوطي، الزركشي، آية الله معرفة، والزرقاني) على القواعد النحوية والصرفية في تفسيرهم، مما أظهر اختلافًا واضحًا في مناهجهم التفسيرية، سواء من حيث أسلوبهم التفصيلي أو الاختصار، ومدى تركيزهم على السياق أو القواعد الصرفية والنحوية.[2]

اختلف المفسرون في مدى اعتمادهم على القواعد النحوية في تفسير وجوه القرآن، حيث كان بعضهم يعتمد على التحليل النحوي العميق، بينما كان آخرون يميلون إلى النقل المباشر دون الغوص في القواعد. فالزركشي كان من أكثر المفسرين اهتمامًا بالنحو، حيث اعتمد على إعراب الكلمات وتحديد وظيفتها النحوية داخل الجملة، وكان يُرجّح أحد المعاني بناءً على القواعد النحوية والبلاغية. فعلى سبيل المثال، اعتمد على مفهوم الاحتباك (حذف بعض الكلمات في السياق) في توضيح دلالة الألفاظ، كما في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: 3]، حيث فسّر "ما طاب" بأنه مفعول به

[1] – العارضي، محمد جعفر محيسن. "الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم." رسالة دكتوراه، جامعة القادسية، 2002.

[2] – رمضان عبد التواب. فصول في فقه العربية. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998، ص 205–210.

CC BY

محذوف العامل، مما يُثري دلالة الآية.[1]

أما الزرقاني، فقد جمع بين التحليل النحوي والتحليل الصرفي، حيث رأى أن فهم دلالة اللفظ لا يقتصر على موقعه الإعرابي، بل يمتد إلى بنيته الصرفية والتغيرات التي تطرأ عليه، وكان يدرس صيغ الكلمات وأوزانها لمعرفة تأثير ذلك على تعدد وجوه القرآن. في حين كان السيوطي أكثر اعتمادًا على النقل من كتب التفسير القديمة مثل "الوجوه والنظائر" للدامغاني و**"التفسير الكبير" للفخر الرازي**، دون الخوض في التفاصيل النحوية، حيث يكتفي بعرض أقوال السلف دون تحليلها نحويًا، مما جعل تفسيره أقرب إلى التفسير بالمأثور.

أما آية الله معرفة، فقد ركّز على العلاقة بين النحو والبلاغة، حيث درس كيفية تأثير القواعد النحوية على إبراز المعاني البلاغية في النص القرآني، مما جعله يتناول وجوه القرآن من منظور يركز على التقديم والتأخير، الحذف والذكر، التوكيد والتقييد في الجملة القرآنية، وهو ما يظهر في تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7]، حيث رأى أن تقديم لفظ "السماء" كان لغرض بلاغي، لإبراز التناسق الكوني قبل الحديث عن العدل، وهو ما يتماشى مع أساليب الحصر والتوكيد في اللغة العربية.[2]

تأثير المدارس النحوية في تفسير وجوه القرآن

أثرت المدارس النحوية المختلفة، وخاصة البصرية والكوفية، في مناهج المفسرين في تفسير وجوه القرآن، حيث اعتمد كل مفسر على مدرسة نحوية معينة لتحديد المعاني المحتملة للألفاظ. فالزركشي تأثر بالمدرسة البصرية التي تميل إلى التقعيد اللغوي الصارم، ولذلك استند إلى آراء نحويي البصرة مثل سيبويه، والأخفش، والفراء عند ترجيح بعض المعاني النحوية، وكان يحرص على ضبط المعاني وفقًا لقواعد النحو التقليدية، مما جعله يتخذ موقفًا متحفظًا من بعض القراءات الشاذة التي تتعارض مع القواعد البصرية.[3]

أما الزرقاني، فقد كان أكثر مرونة في التعامل مع القواعد النحوية، حيث تبنى منهجًا توفيقيًا يجمع بين المدرستين البصرية والكوفيّة، مما جعله أكثر تقبلًا لاختلافات القراءات وتأثيرها على المعاني النحوية. فعلى سبيل المثال، في تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَإِنْ كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: 6]، أشار إلى أن رفع "أولات" وفقًا للقراءة المتواترة يتناسب مع قواعد

[1] – فضل حسن عباس. إتقان البرهان في علوم القرآن. عمان: دار الفرقان، 2005، ص 223–226.

[2] – محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج6 (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1416ه)، 210–213.

[3] – رمضان عبد التواب، مدارس النحو العربي: النشأة والتطور (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994)، 142–147.

CC BY

المدرسة البصرية، لكنه لم يهمل رأي المدرسة الكوفية التي تجيز النصب بناءً على التأويل السياقي.

في المقابل، كان السيوطي يميل إلى النقل عن المدرسة البصرية لكنه لم يكن يناقش آراء المدرسة الكوفية بشكل تفصيلي، مما جعل تفسيره أقل تحليلًا مقارنة بالزركشي والزرقاني. أما آية الله معرفة، فقد تأثر بالمدرسة الكوفية التي كانت أكثر مرونة في تقبل الاستعمالات اللغوية المختلفة، وكان يرى أن تفسير وجوه القرآن يجب أن يستوعب الاختلافات النحوية الناشئة عن تنوع اللهجات العربية القديمة. ولهذا، كان يميل إلى الاستشهاد بالشعر العربي عند تفسير بعض الألفاظ التي تحمل أكثر من معنى، مما جعله أكثر انفتاحًا على تعدد وجوه القرآن مقارنة بالمفسرين الآخرين.[1]

تحليل بعض الأمثلة النحوية في تفسير وجوه القرآن

عند تحليل الأمثلة النحوية التي تناولها هؤلاء المفسرون، يتضح أن اختلافاتهم في تفسير وجوه القرآن تعود إلى تأثرهم بالمدارس النحوية المختلفة. ومن الأمثلة البارزة على ذلك:

﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: 63]

رأى الزركشي أن "هذان" جاءت وفقًا للقاعدة البصرية العامة في رفع "المثنى"، مما يعكس التزامه بالقواعد النحوية الصارمة.[2]

أما الزرقاني، فأشار إلى أن هذا الاستخدام متأثر باللهجات العربية القديمة، وهو ما تبنته المدرسة الكوفية.

في حين رجّح آية الله معرفة أن الأسلوب جاء لتعزيز الإيقاع الصوتي والبلاغي للنص القرآني.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ [النحل: 69]

رأى الزركشي أن الفعل "يخرج" في محل استئناف، مما يدل على أن خروج الشراب من النحل هو أمر متجدد ومستمر.[3]

بينما رأى الزرقاني أنه يمكن أن يُعرب كحال، مما يجعل الجملة أكثر ارتباطًا بالسياق السابق.

أما السيوطي، فقد اعتمد على النقل عن المفسرين السابقين دون تعمق في التحليل النحوي.

[1] – جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974)، ج2، 105–106.

[2] – بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957)، ج1، 284–285.

[3] – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ)، ج16، 128–129.

3-3. الاستشهاد بالشعر العربي واللغة العربية في تحليل وجوه القرآن

يُعدّ الشعر العربي من أهم المصادر التي استعان بها المفسرون في تحليل وجوه القرآن، إذ اعتمد العرب قبل نزول الوحي على الشعر لفهم المعاني والتعبير عن أفكارهم، مما جعله مرجعًا أساسيًا لفهم دلالات الألفاظ القرآنية التي تحمل أكثر من وجه. وقد أدرك علماء التفسير أهمية العودة إلى لغة العرب وشعرهم لاستكشاف المعاني المحتملة للألفاظ الواردة في القرآن الكريم، خاصة تلك التي تحتمل تعدد الدلالات. وكان لكل من السيوطي، الزركشي، آية الله معرفة، والزرقاني منهجه الخاص في توظيف الشعر العربي والاستشهاد باللغة العربية في تفسير وجوه القرآن، مما يعكس التباين في طرق تعاملهم مع هذا المصدر اللغوي.[1]

كان للشعر الجاهلي دور جوهري في تفسير وجوه القرآن عند هؤلاء العلماء، حيث استخدموه لاستجلاء معاني الألفاظ الغامضة أو التي تحتمل دلالات متعددة. ويعدّ الزركشي من أكثر المفسرين اعتمادًا على الشعر الجاهلي، حيث اعتبره شاهدًا لغويًا أساسيًا يساعد في تحديد المعاني القرآنية وفقًا لما كان متعارفًا عليه في اللغة العربية الفصيحة قبل الإسلام. وكان يستشهد بأكثر من بيت شعري عند مناقشة معنى معين في الآية، مع تحليل بنيته اللغوية وبيان كيفية تطابقها مع دلالة اللفظ القرآني. في المقابل، استخدم الزرقاني الشعر العربي كأداة تفسيرية مكملة، ولم يجعله المصدر الرئيسي لفهم المعاني، إذ كان يرى أن بعض الألفاظ تكتسب دلالات جديدة في القرآن تختلف عن معانيها في الشعر الجاهلي، نظرًا لتطور المفاهيم اللغوية عبر الزمن.[2]

أما السيوطي، فقد كان استخدامه للشعر الجاهلي محدودًا مقارنة بالزركشي والزرقاني، حيث فضّل الاعتماد على التفسير بالمأثور أكثر من اللجوء إلى الشواهد الشعرية. في المقابل، كان آية الله معرفة أكثر تحررًا في استشهاده بالشعر الجاهلي، حيث اعتمد عليه بشكل واسع لفهم الكلمات متعددة المعاني، وركّز على تحليل استخدام الألفاظ في الشعر، معتبرًا أن القرآن استعمل لغة العرب ببلاغتها وأساليبها المألوفة لديهم. وكان يميل إلى تقديم تفسيرات لغوية قائمة على الاستعمالات التاريخية للألفاظ في الشعر العربي، مما جعله أقرب إلى المدرسة اللغوية في التفسير.

لم يقتصر اعتماد المفسرين على الشعر الجاهلي فقط، بل امتد إلى دراسة أصول الكلمات ودلالاتها في مختلف لهجات العرب. كان الزركشي من أكثر المفسرين اهتمامًا بتطور دلالات الكلمات في اللغة العربية، إذ بحث في كيفية استخدام العرب للألفاظ متعددة المعاني في كلامهم، سواء في الشعر أو في النثر، مما جعله يربط بين الاستعمالات اللغوية

[1] – الطويل، محمد بن عبد الله. الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم: أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في التعامل معه. صفحة 237.

[2] – بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957)، ج1، 287–289.

CC BY

والمعاني القرآنية بشكل دقيق. وكان يرى أن معرفة لغة العرب وأساليبهم التعبيرية ضرورية لفهم وجوه القرآن المختلفة، خاصة في ضوء اختلاف استخدام الألفاظ عبر الأزمنة والمناطق.[1]

أما الزرقاني، فقد تبنى نهجًا أوسع في دراسة اللغة العربية، إذ لم يقتصر على فصحى الشعر الجاهلي، بل توسع ليشمل اللهجات المختلفة التي كانت منتشرة في عصر نزول الوحي. كان يرى أن بعض الألفاظ تحمل دلالات متباينة وفقًا للسياق الذي استخدمت فيه، وكان يقارن بين الاستخدامات اللغوية في مناطق متعددة من الجزيرة العربية للوصول إلى أقرب تفسير للفظ القرآني. في المقابل، لم يهمل السيوطي أهمية اللغة العربية، لكنه اعتمد في تفسيره على تفاسير السابقين دون إجراء تحليل لغوي عميق، مما جعله أكثر تقليدية في مقاربته اللغوية. أما آية الله معرفة، فقد كان من أكثر المفسرين تأكيدًا على أهمية معرفة اللغة العربية وأساليبها البلاغية في فهم النصوص القرآنية، حيث ركّز على تحليل المعاني من منظور لغوي محض، معتبرًا أن اللغة العربية تقدم فهمًا دقيقًا ومتعدد الأبعاد للنص القرآني.[2]

أثار اعتماد المفسرين على الشعر واللغة العربية في تفسير وجوه القرآن بعض الجدل، إذ يرى بعض العلماء أن الإفراط في استخدام الشعر الجاهلي قد يؤدي إلى تأويلات قد لا تتوافق مع مقاصد القرآن، خاصة أن الشعر يتميز بالمجازية والمبالغة. في هذا السياق، كان الزركشي والزرقاني أكثر توازنًا في استخدام هذه المنهجية، حيث لم يعتمدا على الشعر الجاهلي كمصدر وحيد لفهم وجوه القرآن، بل استخدماه كأداة مساعدة إلى جانب السياق القرآني والقراءات المختلفة. أما السيوطي، فقد قلّل من استخدامه لهذه المنهجية، مما قد يُعتبر نقطة ضعف في منهجه التفسيري، إذ أن الاقتصار على أقوال المفسرين دون الرجوع إلى أصول الكلمات في اللغة العربية قد يؤدي إلى تفسير محدود لبعض الألفاظ. في المقابل، كان آية الله معرفة أكثر انفتاحًا في توظيف الشعر واللغة العربية في التفسير، لكنه أحيانًا قدّم تفسيرات لغوية لم تكن تتماشى تمامًا مع السياق القرآني، مما جعل بعض آرائه محل نقاش بين المفسرين.

يتضح من خلال مقارنة مناهج هؤلاء العلماء أن الجمع بين المنهج اللغوي والاستشهاد بالشعر من جهة، وبين أدوات التفسير الأخرى مثل السياق القرآني والقراءات المختلفة من جهة أخرى، هو المنهج الأمثل لتحقيق فهم دقيق ومتوازن لوجوه القرآن.

[1] – الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957. المجلد 2، صفحة 156.

[2] – محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1 (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 120–123.

CC BY

1-4. المقارنة والتحليل النقدي لمناهج المؤلفين في وجوه القرآن

بعد استعراض مناهج المؤلفين الأربعة في تفسير وجوه القرآن وتحليل الجوانب التفسيرية واللغوية التي اعتمدوا عليها، يهدف هذا الفصل إلى تقديم مقارنة تفصيلية بينهم، مع إبراز أوجه التشابه والاختلاف في تناولهم لوجوه القرآن، وتحديد طبيعة أساليبهم في التفسير، سواء بالتفصيل أو الاختصار أو التوسط، ومدى اعتمادهم على السياق أو القواعد الصرفية والنحوية. كما سيتم التركيز على كيفية استدلالهم بالأدلة المختلفة، مثل القراءات القرآنية والاستشهاد بالشعر العربي، ومدى تأثير ذلك على تحديد دلالات الألفاظ متعددة المعاني.

سيشمل التحليل أوجه الاشتراك بينهم، مثل اعتمادهم على السياق القرآني في بيان المعاني، واهتمامهم بالتحليل اللغوي، واستنادهم إلى أقوال المفسرين السابقين، مع بيان الفروقات في درجة اعتمادهم على هذه العناصر. كما سيتم توضيح أوجه الاختلاف، من حيث ميل بعضهم إلى التفصيل والاستقصاء، بينما يتبنى آخرون أسلوب الاختصار والتركيز على الأوجه الأكثر شيوعًا. كذلك سيتم تحليل اختلافهم في استخدام القواعد الصرفية والنحوية في تفسير وجوه القرآن، ومدى تأثرهم بالمدارس التفسيرية المختلفة.

وفي إطار التقييم النقدي، سيتم تحليل مدى شمولية مناهجهم، وعمق استدلالاتهم، ومدى اتساقها مع النص القرآني. كما سيتم دراسة قوة منهج كل عالم في الكشف عن المعاني المختلفة للألفاظ، ومدى دقة استخدامهم للأدلة اللغوية والتفسيرية. وسيتضمن التحليل أمثلة متعددة من النص القرآني توضح آراءهم وتطبيقاتهم العملية، مع الإشارة إلى مؤلفات رئيسية في وجوه القرآن، مثل "الوجوه والنظائر" للدامغاني وكتاب حُبَيْش بن إبراهيم التفليسي، لتعزيز المقارنة وإثراء الدراسة بمزيد من الأدلة التطبيقية.

1-4-1. أوجه التشابه بين المؤلفين الأربعة في تفسير وجوه القرآن

أوجه التشابه والاختلاف بين المؤلفين الأربعة في تفسير وجوه القرآن

يُعَدّ تفسير وجوه القرآن من المسائل التي اجتهد العلماء في تناولها عبر مناهج متنوعة، ومع ذلك، فإن هناك أوجه تشابه واضحة بين السيوطي، الزركشي، آية الله معرفة، والزرقاني في بعض الأساليب التفسيرية التي اعتمدوها في تحليل الألفاظ القرآنية متعددة المعاني. فعلى الرغم من اختلاف مدارسهم الفكرية، وأساليبهم التحليلية، إلا أنهم اشتركوا في عدة قواعد تفسيرية جعلت دراستهم لهذه الظاهرة التفسيرية متقاربة في بعض الجوانب، لكنهم اختلفوا في مستوى

التفصيل، طريقة التحليل، والأساليب اللغوية التي اعتمدوها في تأويل وجوه القرآن.

أولًا: أوجه التشابه بين المؤلفين الأربعة

اتفق العلماء الأربعة على أن السياق القرآني هو الأساس المحوري في تحديد دلالة الألفاظ متعددة المعاني، حيث أقروا جميعًا بأن المعنى لا يمكن استخلاصه بدقة دون النظر إلى موقع الكلمة داخل الجملة، وارتباطها بالآيات السابقة واللاحقة. على سبيل المثال، في تفسير لفظ "الروح"، اعتمدوا على السياق العام للآية لتحديد ما إذا كانت تعني الوحي، جبريل، أو النفس البشرية، مستندين إلى القرائن الداخلية للنص. كما كان هناك إجماع بينهم على أن القراءات القرآنية تمثل عنصرًا هامًا في ترجيح أحد المعاني المحتملة للكلمة، حيث أن اختلاف القراءات يضيف بعدًا دلاليًا إضافيًا يساهم في استيعاب النص القرآني بمستويات أوسع.

كما تشابهت مناهجهم في اعتماد القواعد النحوية والصرفية كأداة لفهم الاختلافات الدلالية، حيث استخدموا التحليل النحوي والصرفي في توضيح كيفية ارتباط الكلمات ببعضها داخل الجملة القرآنية، واعتبروا أن التراكيب النحوية تؤثر بشكل مباشر على تحديد وجوه الكلمات. فعلى سبيل المثال، عند تفسير كلمة "السمع" في مواضع مثل (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً) [الأحقاف: 26]، اعتمدوا على إعرابها لمعرفة إن كانت تفيد السماع الحسي أو الإدراك الذهني.[1] أيضًا، استخدم العلماء الأربعة الاستشهاد بالشعر العربي لفهم المعاني المتعددة للألفاظ القرآنية، حيث رأوا أن الشعر الجاهلي يمثل مرجعًا لغويًا يُمكن من خلاله ضبط دلالات الكلمات التي كانت معروفة عند العرب وقت نزول القرآن. في مواضع مثل (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) [الذاريات: 9]، لجأوا إلى الشعر لتحديد معنى "أُفِكَ" في سياقاتها المختلفة.[2] كما أنهم اتفقوا على أهمية التفسير بالمأثور في دعم تحليلهم لوجوه القرآن، حيث استندوا إلى أقوال الصحابة والتابعين والمفسرين الأوائل عند تحليل الألفاظ متعددة المعاني، مما جعل تفاسيرهم قائمة على أسس تراثية قوية. وقد استشهدوا بشكل متكرر بتفاسير كبار العلماء مثل الطبري، ابن كثير، والزمخشري عند دراسة وجوه الكلمات.

إضافةً إلى ذلك، اتفقوا على أن وجوه القرآن ترتبط بالإعجاز البلاغي للنص القرآني، حيث اعتبروا أن استخدام القرآن للألفاظ التي تحمل أكثر من معنى يعكس أحد أوجه الإعجاز البياني. وكانوا يدرسون هذه الظاهرة من خلال تحليل الأساليب البلاغية المستخدمة في القرآن مثل الإيجاز، المشاكلة، والتكرار، مما ساعدهم على تفسير تعدد المعاني داخل النص.

[1] – تمام حسان، البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية بلاغية تحليلية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2001)، 112–114.

[2] – فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج1 (عمان: دار عمّار، 2006)، 187–190.

CC BY

ثانيًا: أوجه الاختلاف بين المؤلفين الأربعة

رغم اتفاقهم في بعض المبادئ، إلا أن هناك اختلافات واضحة في الأسلوب التفسيري لكل منهم، حيث تباينوا في مدى التفصيل أو الاختصار، ومدى اعتمادهم على القواعد النحوية، السياق، أو الاستشهاد بالمأثور.

السيوطي اعتمد أسلوب التوسط بين الاختصار والتفصيل، حيث نقل العديد من الأقوال لكنه لم يخصص تحليلًا معمقًا لكل وجه من وجوه القرآن. كان يميل إلى تجميع الآراء أكثر من تقديم تحليل نقدي، معتمدًا على التفسير بالمأثور، لكنه لم يُقدّم إضافات لغوية كبيرة مقارنةً بغيره.

الزركشي كان أكثر ميلًا إلى التفصيل اللغوي والنحوي، حيث اعتمد على التحليل الصرفي والنحوي في تفسير الألفاظ متعددة المعاني. على سبيل المثال، عند تفسير لفظ "الأمر"، بيّن كيفية تغير معناه بين الإلزام والتخيير، مستندًا إلى قواعد النحو ومدارس اللغة المختلفة.

آية الله معرفة اعتمد الأسلوب التحليلي المتوازن بين السياق واللغة، حيث وظف المنهج المقارن بين التفسير اللغوي والتفسير العقائدي، مبرزًا كيف أثرت الخلفية الكلامية في تحديد معاني بعض الألفاظ. كما اعتمد على التأويل في بعض المواضع، حيث كان يميل إلى تحليل الألفاظ من منظور فلسفي أحيانًا.

الزرقاني كان أكثر اختصارًا مقارنةً بالآخرين، حيث كان أسلوبه مباشرًا وعمليًا، معتمدًا على السياق أكثر من القواعد النحوية، لكنه استخدم البلاغة كأداة لفهم تعدد المعاني.

كما اختلفوا في مدى اعتمادهم على الاستشهادات اللغوية، حيث كان السيوطي والزركشي أكثر استشهادًا بالشعر العربي، في حين أن معرفة والزرقاني اعتمدوا أكثر على التفسير بالمأثور.

ثالثًا: أثر اختلاف المناهج على تفسير وجوه القرآن

أثر هذا التباين المنهجي في مدى توسعهم في دراسة وجوه القرآن، حيث كان أسلوب السيوطي مناسبًا لمن يبحث عن عرض شامل للروايات التفسيرية دون تحليل معمق، بينما وفر الزركشي تحليلًا نحويًا متقدمًا، وقدم معرفة دراسة مقارنة مع تأويلات فلسفية، وكان الزرقاني أكثر اختصارًا وتركيزًا على الجانب البلاغي.

رابعًا: أهمية إضافة كتب أخرى لدراسة وجوه القرآن

عند الحديث عن وجوه القرآن، لا يمكن تجاهل الكتب المهمة التي تناولت هذا الموضوع، مثل:

الوجوه والنظائر" للدامغاني، الذي يُعَدّ من أهم الكتب التي شرحت تعدد دلالات الكلمات القرآنية بناءً على ورودها في

CC BY

مواضع مختلفة.

"الوجوه والنظائر" لحُبَيْش بن إبراهيم التفليسي، الذي اعتمد تحليلًا لغويًا شاملًا، ويستحق إدراجه ضمن الدراسات المرجعية في هذا المجال.

بناءً على ما سبق، يتضح أن العلماء الأربعة لم يكونوا يعملون في معزل عن التراث التفسيري، بل اعتمدوا على أسس مشتركة مثل السياق، القواعد النحوية، والاستشهاد بالشعر العربي، لكنهم اختلفوا في مستوى التفصيل، منهجية التحليل، ومدى اعتمادهم على التأويل أو النقل الحرفي. هذا التفاوت في المناهج أدى إلى تباين تفسيرات وجوه القرآن، مما يجعل دراسة مقارنتهم ضرورية لفهم كيفية تعامل العلماء مع هذه الظاهرة اللغوية والتفسيرية المعقدة.

1-4-2. أوجه الاختلاف بين المؤلفين الأربعة في وجوه القرآن

أوجه الاختلاف بين المؤلفين الأربعة في وجوه القرآن

على الرغم من وجود قواسم مشتركة بين السيوطي، الزركشي، آية الله معرفة، والزرقاني في تفسير وجوه القرآن، إلا أن هناك اختلافات جوهرية بينهم، سواء في اعتمادهم على التفسير بالمأثور أو التفسير العقلي واللغوي، أو في طريقتهم في تحليل الألفاظ المتعددة المعاني، أو في الأسلوب الذي اتبعوه—سواء بالتوسط، التفصيل، الاختصار، أو التركيز على السياق أو القواعد الصرفية والنحوية. وقد انعكست هذه الاختلافات بشكل واضح على تفسيرهم لبعض الألفاظ القرآنية، مما أدى إلى تباين رؤاهم حول مفهوم وجوه القرآن.

الاختلاف في الأسلوب والمنهجية

السيوطي اعتمد أسلوب الاختصار في تفسير وجوه القرآن، حيث لم يتعمق كثيرًا في التحليل اللغوي أو النقدي، بل اكتفى بجمع أقوال المفسرين السابقين، مما جعله يميل إلى التفسير النقلي أكثر من التحليلي. أما الزركشي، فقد اعتمد أسلوب التفصيل والتحليل، حيث كان يدرس وجوه القرآن من خلال السياق القرآني، القواعد النحوية والصرفية، والقراءات المختلفة، مما جعله يضيف أبعادًا تفسيرية جديدة للألفاظ المتعددة المعاني.

أما آية الله معرفة، فقد تبنى منهج التوسط بين النقل والعقل، حيث كان يحلل وجوه القرآن استنادًا إلى التفسير بالمأثور، مع الاستفادة من التحليل اللغوي والنحوي، لكنه لم يصل إلى درجة التفصيل التي اعتمدها الزركشي. في المقابل، كان الزرقاني أكثر اهتمامًا بالقراءات القرآنية وتأثيرها على تفسير وجوه القرآن، مما جعله يُركز على اختلاف القراءات في

CC BY

توجيه المعاني.

الاختلاف في الاعتماد على السياق القرآني

يُعتبر السياق القرآني من الأدوات الأساسية في تحديد وجوه القرآن، إلا أن العلماء تعاملوا معه بطرق مختلفة. الزركشي كان الأكثر اهتمامًا بالسياق، حيث كان يرى أن دلالة الكلمة تعتمد بشكل أساسي على موقعها داخل النص، وهو ما يظهر في تفسيره لقوله تعالى:

📖 (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) [فاطر: 28]

إذ رأى أن تقديم لفظ الجلالة وتأخير العلماء يوضح أن الخشية صفة لازمة للعلماء، لا لكل الناس، مما يعكس اهتمامه بالسياق النحوي والبلاغي.

أما الزرقاني، فقد اعتمد على السياق لكنه لم يجعله العامل الوحيد، بل كان يرى أن القراءات القرآنية تلعب دورًا رئيسيًا في تحديد الوجوه المحتملة، كما في قوله تعالى:

📖 (ملك يوم الدين) [الفاتحة: 4]

حيث أشار إلى أن قراءة "مالك يوم الدين" و"ملك يوم الدين" تعطي معاني مختلفة، مما يستوجب مراعاة تأثير اختلاف القراءات في تفسير اللفظ.

أما السيوطي، فلم يُعطِ السياق نفس الأهمية، بل كان يعتمد على أقوال المفسرين الأوائل دون تحليل معمق لكيفية تغير المعنى وفقًا للسياق. بينما كان آية الله معرفة أكثر اهتمامًا بالسياق التاريخي والاجتماعي، حيث ركّز على تأثير البيئة الثقافية واللغوية على تفسير الألفاظ، كما في دراسته لكلمة "الأمة" في القرآن، حيث أشار إلى تعدد معانيها بين الجماعة، الدين، والزمن استنادًا إلى السياقات المختلفة.

الاختلاف في التفسير النحوي والصرفي

الزركشي كان الأكثر اهتمامًا بالتحليل النحوي والصرفي في تفسير وجوه القرآن، حيث كان يرى أن الإعراب يؤثر على تحديد المعاني، كما في قوله تعالى:

📖 (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) [الذاريات: 47]

إذ أشار إلى أن "بأيدٍ" يمكن أن تعني بالقدرة أو بالقوة، بناءً على تحليل صرفي دقيق.

أما الزرقاني، فقد اهتم أيضًا بالجوانب الصرفية لكنه ركّز أكثر على الاشتقاق وأثره في تعدد المعاني، في حين أن

CC BY

السيوطي لم يُعطِ القواعد الصرفية والنحوية نفس الأهمية، بل اكتفى بالنقل عن المفسرين. أما آية الله معرفة، فقد استخدم التحليل النحوي لكنه لم يتعمق فيه كما فعل الزركشي، بل كان يُوظفه عند الحاجة فقط.

الاختلاف في تفسير الألفاظ المتعددة المعاني

كل عالم تعامل مع الألفاظ ذات المعاني المتعددة بطريقة مختلفة. فالسيوطي كان يعتمد على النقل عن المفسرين دون تحليل شخصي، بينما كان الزركشي يدرس المعاني بناءً على السياق والاشتقاق النحوي، في حين كان الزرقاني يُوازن بين القراءات المختلفة وتأثيرها على معنى الكلمة. أما آية الله معرفة، فقد ركّز على التحليل التاريخي والثقافي للألفاظ، مثل تفسيره لكلمة "الذكر" التي تعني القرآن، الذكرى، والرسالة الإلهية وفقًا لسياق ورودها في الآيات.

أثر الاختلافات في تعدد التفسيرات

هذه الاختلافات بين العلماء أدت إلى تعدد تفسيرات وجوه القرآن، حيث أن كل واحد منهم قدّم تفسيرًا قائمًا على زاوية معينة من التحليل:

الزركشي ركّز على السياق النحوي والصرفي.

الزرقاني ركّز على أثر اختلاف القراءات.

السيوطي كان أقرب إلى التفسير النقلي المباشر.

آية الله معرفة دمج بين التحليل اللغوي والتاريخي.

الخاتمة

بعد تتبّع مناهج أربعة من أبرز علماء التفسير في تناول أوجه القرآن الكريم، وهم السيوطي، الزركشي، آية الله معرفة، والزرقاني، يتضح أن علم وجوه القرآن يمثّل ميدانًا دقيقًا تتداخل فيه علوم اللغة والبيان والنحو والقراءات، مما يستلزم من المفسر قدرة عالية على الربط بين السياقات اللغوية والدلالية للنص القرآني.

وقد كشف البحث أن السيوطي اعتمد في الغالب على التفسير بالمأثور وجمع الروايات دون ترجيح تحليلي واضح، بينما تميز الزركشي بمنهج لغوي نقدي يجمع بين النحو والبلاغة، وكان أكثر تعمقًا في دراسة السياقات النحوية والقرآنية. أما آية الله معرفة فقد قدّم منهجًا متوازنًا يجمع بين الدقة اللغوية والتحليل الدلالي والفلسفي، مع عناية واضحة بتأثير القراءات والسياق التاريخي. في حين اتسم منهج الزرقاني بالتركيز على السياق العام للنص والبعد البلاغي، مع اهتمام ملحوظ بأثر القراءات في إثراء المعنى.

ومن خلال المقارنة، يتبيّن أن لكل مفسر زاويته الخاصة في معالجة ظاهرة الوجوه القرآنية، مما يعكس تنوّعًا في المدارس التفسيرية، ويؤكد أن التفسير لا يتوقف عند حدود اللغة، بل يتعداها إلى الأبعاد الفكرية والمعرفية. كما أن تعددية الدلالة القرآنية لم تكن سببًا في الغموض، بل كانت بابًا من أبواب الإعجاز البياني الذي يفتح آفاقًا للتأمل في النص القرآني.

ويُوصي هذا البحث بضرورة توسيع الدراسات التطبيقية في علم وجوه القرآن، من خلال تحليل نماذج تفسيرية متقابلة لألفاظ بعينها، بهدف الكشف عن الفروق الدقيقة في التأويل بين المفسرين. كما يُقترح استثمار هذا المجال في تطوير المناهج الحديثة لتعليم التفسير، بما يعزز من فهم التنوع الدلالي في القرآن الكريم.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الباحثين في ميدان التفسير وعلوم القرآن.

نتائج البحث

1- تعدد وجوه القرآن الكريم يمثل منطلقًا مهمًا لفهم أبعاد الإعجاز البياني والدلالي في النص القرآني، إذ أظهرت الدراسة أن الألفاظ القرآنية غالبًا ما تأتي في سياقات متعددة ومعانٍ متباينة دون أن تخرج عن الاتساق النصي والمعنوي. وهذا التنوع في الدلالة لا يُعدّ غموضًا بل يعبّر عن قدرة اللغة العربية على احتواء المعاني الكثيفة ضمن تركيبات موجزة، مما يجعل وجوه القرآن أحد أهم المفاتيح لفهم البنية البلاغية والمعرفية للقرآن.

2- أظهر تحليل منهج السيوطي أنه كان يعتمد على التفسير بالمأثور، حيث كان يركّز على جمع أقوال الصحابة والتابعين ومن تبعهم من المفسرين دون أن يُدخل كثيرًا من التحليل اللغوي أو البلاغي. كان منهجه في عرض وجوه القرآن أقرب إلى التوثيق والتجميع منه إلى التفسير التحليلي، الأمر الذي يعطي قيمة توثيقية لمرويات التفسير لكنه يفتقر أحيانًا إلى الترجيح أو التعمق في التوجيه اللغوي والدلالي للفظ.

3- أما الزركشي فقد برز بمنهج تحليلي لغوي متكامل، اعتمد فيه على القواعد النحوية والبلاغية وعلوم البيان في دراسة الألفاظ متعددة المعاني. كان يولي أهمية كبيرة للسياق الداخلي للنص، وربط بين التركيب النحوي والمعنى الدلالي، مما مكّنه من بناء رؤية تفسيرية دقيقة تعتمد على علم اللغة والقرآن معًا. كما كان يُرجّح بين الآراء المختلفة بناءً على تحليل لغوي وأصولي دقيق، ما جعله من أبرز من تناول وجوه القرآن بمنهج علمي متماسك.

4- أما آية الله معرفة، فقد اعتمد على منهج متوازن يجمع بين اللغة والتاريخ والفلسفة القرآنية، حيث ركّز على

السياقات المختلفة للكلمة من حيث الورود القرآني، والزمني، والاجتماعي، مع استحضار الفلسفات العقدية التي شكّلت الوعي الديني عند العرب. واهتم اهتمامًا خاصًا بالقراءات القرآنية باعتبارها مدخلًا مهمًا لفهم تنوع الدلالات، وبيّن كيف تؤثر تعددية القراءات على تعدد المعنى. وقد أظهر منهجه قدرة على الدمج بين التحليل اللفظي والتفسير الكلي للنص.

5- اتّسم منهج الزرقاني بقدر من الاختصار والتحليل البلاغي، حيث تناول الألفاظ متعددة المعاني عبر سياقاتها القرآنية المختلفة، معتمدًا على القراءات القرآنية كعنصر محوري في تحديد الوجه المناسب. لم يُغرق في الخلافات التفسيرية أو في المناقشات المذهبية، بل سعى إلى تقديم قراءة تفسيرية عملية تركّز على البلاغة والسياق العام. ومن ثم فإن منهجه يتناسب مع المتلقي المعاصر الباحث عن فهم مباشر وبسيط للوجوه القرآنية دون تعقيد اصطلاحي.

6- كشفت المقارنة بين العلماء الأربعة أن السياق القرآني كان عنصرًا مشتركًا بين الجميع، إلا أن درجة الاعتماد عليه وتوظيفه اختلفت. فقد رأى الزركشي أنه أساس التحليل، بينما وظّفه الزرقاني كأداة مساعدة إلى جانب القراءات. أما آية الله معرفة فجمع بين السياق والبيئة التاريخية، في حين لم يكن السياق حاضرًا بقوة في منهج السيوطي الذي اعتمد على النقل دون تحليل سياقي معمّق.

7- تبين أن البنية النحوية والصرفية للألفاظ القرآنية لها تأثير مباشر على تحديد دلالات اللفظ وتفسير وجهه، وقد أظهر الزركشي والزرقاني تميزًا في هذا الجانب، بينما جاء اهتمام السيوطي بها في إطار النقل، وركز آية الله معرفة على آثارها الفلسفية والمعنوية أكثر من تحليلها الصرفي التقني.

8- خلص البحث إلى أن المنهج التفسيري الأمثل في تناول وجوه القرآن هو الذي يجمع بين السياق، والقراءات، والتحليل البلاغي واللغوي، والمأثور، دون الاقتصار على جانب دون آخر. فالفهم المتوازن للنص القرآني يقتضي الإلمام بجميع أدوات التحليل، والانفتاح على الاختلافات التي تغني التفسير دون أن تخرجه عن مقصوده الشرعي والبياني.

المصادر

1. ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984.
2. الأفغاني، فضل الرحمن عبد العليم. كتاب وجوه القرآن لأبي عبد الرحمن إسماعيل الضرير النيسابوري الحيري: تحقيق ودراسة. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1984.
3. بن حمدة، وسيلة بلعيد. "محمد ومنهجه في التفسير." مجلة جامعة الزيتونة، 1993.
4. تمام حسان. البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية بلاغية تحليلية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2001.
5. تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها.
6. الجاكي، مجدي عبد الجواد. "كتب وجوه القرآن الكريم: دراسة مرجعية." مجلة كلية الآداب جامعة بنها، مايو 2013.
7. حقي، محمد صفاء. "مدخل إلى علوم القرآن: تعريفه، تاريخه، ومصادره." مجلة الدراسات الإسلامية، 2010.
8. خراسانى، محمود محمدي. "التفسير الاجتماعي عند آية الله محمد هادي معرفة." مجلة المعارف الحكمية، العدد 28، 2012.
9. خليفة قرني محمد خليفة. "مباحث علم المعاني في كتاب 'البرهان' للإمام الزركشي." رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية.
10. رازي، فخر الدين. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.
11. رمضان عبد التواب. فصول في فقه العربية. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998.
12. رمضان عبد التواب. مدارس النحو العربي: النشأة والتطور. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994.
13. الرومي، فهد بن عبد الرحمن. دراسات في علوم القرآن. الرياض: مكتبة التوبة، 1994.
14. الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1943.
15. الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957.
16. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. "رأي الإمام الزركشي في أن القرآن الكريم والقراءات حقيقتان متغايرتان." مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2015.

17. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار المعرفة، 1972.

18. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. ترتيب سور المصحف الشريف بين العلماء المسلمين والمستشرقين. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2021.

19. الزيات، أحمد حسن. البيان في إعجاز القرآن.

20. الزيود، عبد الله. "علوم القرآن بين الإتقان ومناهل العرفان: دراسة مقارنة." مجلة جرش للبحوث والدراسات، 2023.

21. الزيود، عبد الله. "علوم القرآن بين الإتقان ومناهل العرفان: دراسة مقارنة." مجلة جرش للبحوث والدراسات 24، ع. 8.**(2023)**

22. السامرائي، فاضل صالح. معاني النحو. عمان: دار عمّار، 2006.

23. سامي، عبد العزيز إسماعيل صقر. "الزركشي ومنهجه في علوم القرآن." رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، 1981.

24. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

25. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. نواهد الأبكار وشوارد الأفكار. تحقيق عبد الله رفاعي محمد أحمد. القاهرة: جامعة الأزهر، 2005.

26. السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق سعيد المندوب. بيروت: دار الفكر، 1996.

27. شحاتة، عبد الله، تحقيق. الوجوه والنظائر، لمقاتل بن سليمان. القاهرة: دار المعارف، 1970.

28. الطويل، محمد بن عبد الله. الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم: أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في التعامل معه.

29. العارضي، محمد جعفر محيسن. "الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم." رسالة دكتوراه، جامعة القادسية، 2002.

30. عبد الحميد هنداوي. "دلالات الألفاظ القرآنية؛ أنواعها، وقيمتها، وكيفية الوقوف عليها (1–3)." موقع تفسير، 2019.

31. غراب، سعد. "تفسير ابن ورواية البسيلي: دراسة وتحقيق لسورة الأعراف." مجلة الدراسات القرآنية، 2006.

32. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1994.

33. القضاة، علاء عبد الله إبراهيم. "جهود الإمام الزرقاني في إبراز دلائل إعجاز القرآن الكريم والدفاع عنه." رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، 2011.

34. لزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1943.

35. المتوكل، مصطفى أبوبكر. "دلالات الألفاظ عند الأصوليين وتطبيقاتها في القرآن الكريم." مجلة البحوث الفقهية والأصولية 2.**(2017)**

36. محمد بديع. "مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب 'البرهان في علوم القرآن' للزركشي." رسالة ماجستير، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 1991.

37. مصطفى، فضل حسن عباس. إتقان البرهان في علوم القرآن. عمان: دار الفرقان، 2005.

38. المعرفة، محمد هادي. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب. قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 2015.

39. المعرفة، محمد هادي. التمهيد في علوم القرآن. قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1416هـ.

40. المعرفة، محمد هادي. صيانة القرآن من التحريف.

41. النيسابوري، إسماعيل بن أحمد الضرير الحيري. وجوه القرآن الكريم. تحقيق فاطمة يوسف الخيمي. دمشق: دار السقا، 1996.

42. وفاء الزعاقي. "إعجاز القرآن عند الزركشي في البرهان: دراسة استقرائية تحليلية." مجلة جامعة الملك سعود – العلوم الإسلامية 32، العدد 1.**(2020)**

43. اليماني، خليل محمود. علوم القرآن: نقد العلمية ومقاربة في البناء. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2023